الباب الثاني

دروس في الفضائل

الدرس الأول

طلب العلم النافع

العلم عند الأصوليين: هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا[١].

والعلم النافع: هو الذي يصحح الفكر ويصقله، والفكر إذا صح ظهر في السلوك القديم والعلم والتعليم[٢]، ولن يُقال عن العلم أنه نافع إلاَّ إذا كان عن الله ورسوله وأصحابه.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلافة سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فقيه[٣]

وقال الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله ـ لبقية بن الوليد: يا بقية العلم ماجاء عن أصحاب رسول الله ﷺ وما لم يجيء عن أصحاب رسول الله فليس بعلم[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في علم الصحابة: فهم العارفون بأصول الدين حقًا لا لأهل البدع والأهواء من المتكلمين ومن سلك سبيلهم[٥].

---

(١) «الأصول من علم الأصول» (ص١٨).
(٢) «عودة إلى السنة» (ص٢٠).
(٣) من شريط «هذه دعوتنا» للألباني.
(٤) (٥) «فن الحوار» (ص٦٢).

إذًا العلم هو: المرقاة الصاعدة بأهلها إلى سماء المجد والنور الباسط أجنحته فوق آفاق الدهر والعروة والوثقى، التي لا يضل من استمسك بها[١].

بل إن العلم هو: الفرقان الذي يميز بين الخبيث من الطيب، والحق من الباطل، والداعية الجاهل، ضال في نفسه مضل لغيره ضرره، أكثر من نفعه وما يفسده أعظم مما يصلحه، فالعلم شرط في الداعية[٢].

وإلا فإنه يصدق فيه قول القائل:

رام نفعًا فضر من غير قصد ... ومن البر ما يكون عقوقًا

أثنى الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ في أكثر من موضع على العلم وأهله فقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، ونفى تعالى استواء العالم بالجاهل حيث قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩)، وقال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام: ١٢٢)، وأشهد الله أهل العلم على الوهيته، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران: ١٨).

فما أعظم قيمة أهل العلم في القرآن الكريم وما أجلها وما أنبلها، يريد الله أن يستشهد على وحدانيته سبحانه علماءه في أرضه، فانظر كيف استشهدهم على أعظم شهادة وترك غيرهم[٣].

ولما كان للعلماء هذه المنزلة الرفيعة عند الله، فإني أشيد بإخواني أن يبذلوا قصارى جهدهم وجهيدهم في طلب العلم الشرعي، فها هو ﷺ يقول:

---

(١) «عودة إلى السنة» (ص٩).
(٢) المرجع السابق (ص٢٠).
(٣) «الصحوة الإسلامية» (ص٧) بتصرف.

«لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[١]، وهذا الحديث يشمل الرحلة في طلب العلم والجهاد في سبيل الله، وقال ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة»[٢].

وقال ﷺ: «وإن العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذه بخط وافر»[٣].

قال الإمام محمد بن بن الوزير ـ رحمه الله ـ:

العلم ميراث النبي كذا أتى ... في النص والعلماء هم وُرَّاثه
ما ورث المختار غير حديثه فينا ... فذاك متاعه وأثاثه
قلنا الحديث وراثة نبوية ... ولكل محدث بدعة إحداثه

ولنا في أسلافنا أسوة حسنة حين أفنوا أعمارهم وأموالهم في سبيل الله على العلم الشرعي النافع.

سُئل ابن المبارك ـ رحمه الله ـ: لو أن الله أوحى إليك أنك تموت العشية، فماذا أنت صانع؟، قال: أقوم أطلب العلم حتى الممات.

وقال الإمام الثوري ـ رحمه الله ـ: أول العبادة الصمت، ثم طلب العلم، ثم العمل به، ثم حفظه، ثم نشره.

وقال عبد الله بن أود: سمعت سفيان الثوري يقول: إن هذا الحديث عزٌ فمن أراد به الدنيا وجدها، ومن أراد به الآخرة وجدها[٤].

---

(١) رواه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.
(٣) رواه الترمذي وغيره بأسانيد حسنة.
(٤) «البحر الرائق» (ص٢٩).

وقال سفيان بن عيينة: أرفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء[١].

ما الفخر إلاَّ لأهل العلم أنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيًا به أبدًا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء[٢]

أخي الحبيب ـ بارك الله فيك ـ: اعلم أن العلم يحتاج منك إلي صبرين:

١ ـ صبر على تعلمه. ٢ ـ صبر على تعليمه

أولاً ـ الصبر على تعلمه:

نعم هو معلوم بالضرورة أن هذا العلم ثمين شرفه بشرف المعلوم فلابد من بذل النفس والنفيس، وتجرع المرارات، وقطع المسافات، والرحلة في طلبه، فقد قيل: من رَحَلَ رُحِلَ له، وقيل: من لم يكن رحلةً لن يكون رُحَلَه[٣].

قال الإمام ابن عباس رضي الله عنه: «ذُللت طالبًا فعُززت مطلوبًا».

حتى قال فيه ابن القيم ـ رحمه الله ـ: فهو فقيه مستنبط علامة[٤].

وقال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ: الحمد لله سافرت ثلاثة أيام لطلب حديث واحد[٥].

وروى البخاري تعليقًا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنه سافر شهرًا في طلب حديث واحد إلى عبد الله بن أنيس في العريش بمصر[٦].

---

(١) (٢) «البحر الرائق» (ص٢٩).
(٣) «شرح حلية طالب العلم» (ص١٣٣).
(٤) (٥) «الصحوة الإسلامية» (ص٣٣).
(٦) المرجع السابق (ص٣٥-٣٦).

obeikandl.com

وهذا الإمام أحمد بن حنبل ـ يرحمه الله ـ يرحل آلاف الفراسخ، حتى قال عنه أحد العلماء: لو حُسبت المدة التي رحلها الإمام أحمد بالمسافة لطوقت الدنيا[١].

لا تحسب العلم تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وقال آخر:

من لم يذق مُرَّ التعلم ساعة ... تجرع مرَّ الجهل طول حياته

ويالله ما ألذ العلم وما أطيبه! وما أعظم بركته! إذا تجرع المرء من أجله المرارات وقطع المسافات، يطلبه هنا وهناك من بداية مقتبل العمر وشرخ الشباب.

قيل للشعبي من أين لك هذا العلم كله؟، قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب[٢].

وقال ابن المسيب ـ رحمه الله ـ: كنت أرحل الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد[٣].

وقال إبراهيم ابن أدهم ـ رحمه الله ـ: إن الله ليدفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث[٤].

وقال أحدهم: لا ينال العلم براحة الجسد[٥].

قيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟، قال: حتى الممات إن شاء الله.

---

(١) المرجع السابق (ص٣٥ـ٣٦).

(٢) «عودة إلى السنة» (ص٧٢).

(٣) المرجع السابق.

(٤) «التقييد والإيضاح في مقدمة ابن الصلاح» (ص٢٠٧).

(٥) «الصحوة الإسلامية» (ص٣٢).

وقال بعض أهل العلم: ذقنا اللذائذ وتمرسنا الشهوات، فما رأينا أشهى ولا ألذ من العلم[١].

يقول الزمخشري ـ يرحمه الله ويغفر له ـ:

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي ... من وصل غانية وطيب عناقِ

وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقري لألقي الرمل عن أراقِ[٢]

هكذا أخي ـ بارك الله فيك ـ كان رجال سلفنا الصالح مع العلم حتى ظفروا به فماذا فعلنا نحن الأمنيات الباردة ثم نأمل من وراء تلك الأمنيات أن تصل بنا إلى تلك الطموحات وهيهات.

لو كان هذا العلم يَبْلُغُ بالمنى ... ما كان يبقى في البرية جاهلُ

* ***وإليك أخي الغالي بعض التوجيهات التي يُستعان بها على الحصول على العلم:***

١ ـ **المحافظة على الوقت:** بالمطالعة والاستماع للنافع من العلم، ومن الأوقات المستحبة لتحصيل العلم للحفظ الأسحار وللبحث البكور وللكتابة وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة في الليل[٣].

٢ ـ **الرحلة في طلب العلم:** وقد سبق الإشارة إلى أهمية ذلك.

٣ ـ **مجالسة أهل العلم المعتبرين والمؤتمنين على العلم:** قال الإمام محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذوا دينكم[٤].

---

(١) «الصحوة الإسلامية» (ص٣٢). (٢) «تحفة الخطيب» (ص١٩).

(٣) «ففروا إلى الله».

(٤) مقدمة شرح النووي، «أريد أن أتوب ولكن» (ص٣٨).

٤ ـ **الدعاء:** فإنه أعظم سلاح في حصول المطلوب.

٥ ـ **تقوى الله تعالى:** ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

٦ ـ **ترك الحياء والخجل المذموم عند طلب العلم أو تعليمه للآخرين:** قال مجاهد: لا يتعلم مستحٍ، ولا مستكبر[١]، وكان عمر بن الخطاب وابنه عبد الله يقولان: «**من رقَّ وجهه، رقَّ علمه**»[٢].

٧ ـ **أن تطلبه لله لا رياء ولاسمعة ولا مماراة:** قال بن سلمة: من طلب الحديث لغير الله مُكِر به.

وقال ﷺ: «**من طلب العلم**»، وفي رواية: «**من ابتغى العلم**»، وفي رواية: «**من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه فإلى النار**»، وفي رواية: «**أدخله الله جهنم**»[٣]، وفي رواية: «**من ابتغى العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو تُقبل أفئدة الناس إليه فإلى النار**»[٤]، وفي رواية: «**من تعلم علمًا مما يُبتغى به وجه الله لايتعلمه إلاَّ ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»[٥]، وفي رواية: «**من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار**»[٦]، وقال ﷺ:

---

(١) «التقييد والإيضاح في مقدمة ابن الصلاح» (ص٢٠٨).

(٢) «التقييد والإيضاح في مقدمة ابن الصلاح» (ص٢٠٨).

(٣) حديث صحيح.

(٤) رواه الحاكم والبيهقي عن كعب بن مالك وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٩٣٠)، و«المشكاة» برقم (٣٢٥).

(٥) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦١٥٩)، وفي «اقتضاء العلم» برقم (١٠٢).

(٦) أخرجه الترمذي عن كعب بن مالك وحسنه الألباني في «صحيح الجامع».

«لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، أو تماروا به السفهاء، ولا لتجترؤا به المجالس فمن فعل ذلك، فالنار النار»[١].

٨ ـ **ترك المعاصي**: فإن اقتراف المعاصي والذنوب يسببان حرمان العلم، فقد شكى الإمام الشافعي سبب تفلت العلم منه إلى شيخه وكيع فقال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي[٢]

وقفة جانبية:

إننا حين نسمع من أناس يرددون عبارات عليلة، بل ميتة، فحواها: أن المنكب في طلب العلم وكثرة الاطلاع قد يصاب بالجنون أو نحوه، أظن أن هذه المقولة لا تخفى على مسامع الكثير، فأرجو من طالب العلم أن لا يروعه ذلك ما دام وأنه طالب علم في حق وسنة.

قال أحد الصالحين: من تعلم علمًا بحق وسنة، لم يذهب الله عقله أبدًا، فطالب العلم كلما نما علمه نما عقله، وازداد سكينةً ووقارًا، لكنه قد يُصاب بعض من يتنطع ويغلو في الأحكام والمسائل ولا يعطي لكل مسألة قدرها هذا صنف.

وصنف آخر: وهم المفرطون المتساهلون في مسائل الدين، فقد يصل بهم تساهلهم إلى حد التمييع لمسائل الشرع، فيصدرون الفتاوى التي تثبت ركاكة علم صاحبها، أو تساهله وعدم خشية الله.

---

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في «الجامع» برقم (٧٣٧٠).

(٢) «ففروا إلى الله» (ص ٢٠).

جاء في (حلية طالب العلم): احذر التَّصدر قبل التأهل فإن بعض من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه[١].

وصنف ثالث: وهم من لا يطلبون العلم الشرعي النافع عند أهله، بل تجدهم يتخطبون هنا وهناك في مراكـز أهل الأهواء والبدع كالصوفية، فيُـصاب بعضهم بالشطحات، لأنه صاحب هوى.

وحتى يستقيم العلم لابد من لزوم هذه المراتب التالية: حسن السؤال، حسن الإنصات، حـسن الفهم، والحفظ والتـعليم، والعمل ومراعـاة حدوده[٢]، فهذه ست مراتب للحصول على العلم.

قال الشيخ ابن عثـيمين ـ رحمه الله ـ معلقًا على المرتبة الخامـسة والسادسة: التعليم والذي أراه أن تكون هي السادسة وأن العمل بالعلم قبل السادسة، فيعمل بالعلم ليصلح نفسه قبل أن يبدأ بإصلاح غيره ثم بعد ذلك يعلم الناس قال النبي ﷺ: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»[٣]، فالعمل به قبل تعليمه.

ثانيًا ـ الصبر على تعليمه:

إننا لو تأملنا حـال الأنبيـاء مع أقوامـهم، لأيقنا أنه بدون الصبـر لن تنجح الدعوة فهاهم الأنبـياء صلوات الله عليهم وسلامه كُذِّبَ بعـضهم وقُتِل آخرون، وطُعن في عروضـهم، وسُخر منهم، وسُلطت عليـهم الحروب النفسـية، وعلى رأس هؤلاء الأنبياء محمد ﷺ، وكل ذلك حصل بعد أن بلغوهم رسالة ربهم فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى جائهم نصر الله.

---

(١) «حلية طالب العلم» (ص٧٩). (٢) المرجع السابق (ص٦٨).

(٣) «شرح حلية طالب العلم» (١٨٠)، أخرجه البيهقي وأحمد.

ولنا فيهم أسوة وقدوة، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الممتحنة: ٦)، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠)، وهذا إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: فقد عُذِّب وأوذي في فتنة القول: «بخلق القرآن».

فلن يسلم الداعية وهو يدعوا إلى الله وإن كان يرجو السلامة من الأذى، فليتخذ لنفسه نفقًا في الأرض أو سلمًا في السماء وهيهات.

* **توجيه نبيه إلى طالب العلم:**

كن طيبًا رفيقًا يضع دواءه حيث ينفع فلا تحرمه أهله فتأثم ولا تعطه غير أهله فتجهل.

فإذا حملتَ إلى سفيه حكمة ... فلقد حملت بضاعة لا تُنفق

وقد قالها الشافعي ـ رحمه الله ـ في مصر مدوية عندما كلَّمه من لا يرى فقهه قال:

أأنثُرُ دارًا بين راعية الغنم ... وانشر منظومًا لراعية النَّعم
فإن كنت قد ضيعت في شر بلدة ... فلست مضيعًا بينهم غرر الكلم
فإن فرَّج الله الكريم بلطفه ... وأدركتُ أهلاً للعلوم وللحكم
بثثتُ مفيدًا واستفدت ودادهم ... وإلا فمخزونٌ لديَّ ومكتتم
ومن منح الجهال علمًا أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم[1]

إن واضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والجوهر ولقد ذُكِرَ أن الأعمش ـ رحمه الله ـ رأى شعبة ـ رحمه الله ـ يُحدث قومًا يرى أنهم غير أهل للحديث، فقال: ويحك يا شعبة أتعلق اللؤلؤ على الخنازير[2].

---

(١) «على الطريق» شريط: علي القرني.

(٢) من شريط «على الطريق ٢»، على القرني.

ولقد قال عكرمة: إن لهذا العلم ثمنًا فاقدروه قدره، قيل: وما ثمنه؟، قال: أن تضعه عند من يحفظه ولا يضيعه[١].

- ورحم الله - ابن حزم في حزمه في ذلك يوم قال: نشر العلم عند من ليس من أهله مفسد لهم كإطعامك الحلوى من به احتراق وحُمَّى، أو كتشميمك المسك والعنبر من به صداعُ من احتدام الصَّفرى[٢].

قالوا نراك طويل الصمت قلت لهم: ما طول صمتي من عيي ولا خرس

أأنشر البز فيمن ليس يعرفه أم أنشر الدرين العمي في الغلس

ختامًا:

أخي - وفقك الله - ضع العلم في أهله على تفاوت؛ فالذكي يحتاج إلى الزيادة، والبليد يكتفي بالقليل، والسفيه يمنع ويزجر، وذو الشر يُذل ويُحرم ولا يُعان ويُكرَّم، والجيمع يُذكَّر ويُوعظ[٣].

(١) (٢) (٣) من شريط «على الطريق» ٢، على القرني.

obeikandl.com

الدرس الثاني

العمل بالعلم

قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ (محمد:١٩)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف:٣)، وقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:٤٤).

نعم أخي ـ بارك الله فيك ـ إن العمل درس عظيم من خلاله يستقطب الداعية قلوب الناس ويمتلكها، ويكون أنموذجًا حيًا، وصورة مشرقة ومضيئة للآخرين، بل يُعد السلوك مرآة الفهم، فكلما صفت هذه المرآة من الشوائب والكدر، وتربت الأجيال عليها كان العلاج أنجح والشفاء أقرب[١].

وإليك أخي الحبيب هذه الصورة الحية من صور أعماله ﷺ، والتي تثبت أهمية المثالية والقدوة والسلوك والعمل في حياة الداعية إلى الله.

* جاء في (زاد المعاد): أنه لما فرغ رسول الله ﷺ من الاتفاق مع المشركين في صلح الحديبية، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قالها ثلاث مرات فلم يقم أحد، عند ذلك دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: **«يا رسول الله، أتحب ذلك؟، اخرج ثم لا تكلم أحداً حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك»**، فخرج ﷺ فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا[٢].

---

(١) «دعوة إلى السنة» (ص٢٠).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٢٩٥) ابن القيم.

أي أخي: إنَّ مما ابتلينا به في عصرنا كثرة العلم وانتشاره وقلة العمل به، وهذا هو الداء بعينه، فصاحبه معذبٌ قبل أن يُعذب صاحب الجهل.

وعالم بعلمه لم يعملن ... معذب من قبل عباد الوثن

فالمقصود من العلم العمل، فكيف يكون طالب العلم عالمًا وقد خالف نصوصه؟، أطالب علم يسمع الغناء؟، ويجالس اللاغين اللاهين؟، أطالب علم يتختم بالذهب؟، أو يحلق لحيته؟، أو يسبل إزاره، أو يهمل حجاب أسرته؟، وقس على ذلك وأمثالها[١].

والواعظ الذي لا يعمل بوعظه يَسُب نفسه على رؤوس الأشهاد.

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا ... إن عبت فيهم أمورًا أن تأتيها

فلابد إذًا أن تسبق الجوارح اللسان وتسبق الدمعة العبارة فإذا أنت قرآن تمشي بين الناس، وقداسة تتحرك على الكوكب[٢].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل[٣].

فلا يغيب عن بالك أن العالم لا يُعدُّ عالمًا إلا إذا كان عاملاً ولا يعمل العالم بعمله إلا إذا لزمته خشية الله[٤].

وإن العمل لهذا الدين يكون بنشر العلم الصحيح بين الناس وطمس معالم الشرك والبدع وإحياء السنن، وإزالة المنكرات والعمل لهذا الدين يكون بالاعتصام بالكتاب والسنة، ولزوم الجماعة والحذر من الفرقة والتحزب والعمل لهذا الدين يكون ببذل الأوقات والمهج والأعمار في سبيل الله»[٥].

---

(١) «كيف تطلب العلم» (ص٢٧).
(٢) «قل هذه سبيلي» (ص٣٩).
(٣) «حلية طالب العلم» (ص١٤).
(٤) المرجع السابق (ص١٣).
(٥) «شباب الصحوة» (ص٦٣).

وإن من العمل لهذا الدين يكون بالعودة إلي ما كان عليه سلفنا الصالح من علم وعمل ودعوة وصبر وإخاء وتعاون على البر والتقوى وتوحيد الفهم الذي ينبثق عنه توحيد الصف المسلم.

نعم «إنَّ توحيد الفهم هو أول خطوات توحيد الصف المسلم وأنفعها، ولن يُتصور فكر وفهم أصح وأقوم من فهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان من أئمة الدين، الذي حمله إلينا الثقات العدول، وحُفظ في دواوين الإسلام حجة لله على خلقه، ومازال بين أيدينا محفوظًا لننهل من معينه الصافي متى شئنا، ولن يصلح حال هذه الأمة إلا بما أصلح به أولها»[(١)].

وكل خير في اتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف

وقال آخر:

وخير الأمور السالفات على الهدى ... وشر الأمور المحدثات البدائع

فاعلم ـ أخا الإسلام ـ: «أن مما يفضح الدعوات وما يحطم المسيرة أن يُرى الناس دعاة يتكلمون وأفعالهم تخالف كلامهم، يقولون كلامًا جميلاً على المنبر لكن الفضائح منهم ومن تصرفاتهم تكذب أقوالهم على المنابر»[(٢)].

(١) «عودة إلى السنة» (ص٢١).

(٢) «قل هذه سبيلي» (ص٦١).

الدرس الثالث

الدعوة إلى الله تعالى

الدعوة إلى الله تعالى: اسم جامع شمولي المعنى لا يقتصر على شيء بذاته[١].

والداعية الموفق: هو الداعية الذي يقوم بتصفية جميع المعتقدات الفاسدة والبدع المضلة من قلوب وأعمال وأقوال الناس، ومن ثمَّ يربيهم على العقيدة الإسلامية الصحيحة القائمة على التوحيد، ونبذ الشرك، وعلى السنة الصحيحة.

فالمطلوب منا هو الدعوة إلى الله بمعناها الشامل وإيصال كلام الله وكلام رسوله ﷺ، لكي نُعْذر أمام الله ولكي تُقام الحجة على من وصلته الدعوة[٢].

ولقد حثنا الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ على تبليغ الدعوة للناس وأثنى على دعاته حيث قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣)، هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً أي كلامًا وطريقة (فمن دعا إلى الله) بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، ومن الدعوة إلى الله تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه وسعة جوده وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله، ومن الدعوة إلى الله الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، ومن ذلك الوعظ لعموم الناس[٣].

ولابد لهذه الدعوة أن تكون مصحوبة بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

---

(١) «شباب الصحوة» (ص٧٢).

(٢) المرجع السابق (ص٧٤).

(٣) تفسير السعدي للآية، مختصرًا.

وهناك أمرٌ أخر يلزم الداعية التحلي به وهو الدعوة على بصيرة قال تعالى: ﴿قُلْ هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ (يوسف:١٠٨)، والمطلوب من العالم وطالب العلم أن يؤدي زكاة العلم بتبليغه للآخرين، يقول ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»[(١)]، وقال ﷺ: «من كتم علمًا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار»[(٢)].

جاء في حلية طلب العلم: أدِّ زكاة العلم صادعًا بالحق آمارًا بالمعروف نهاءً عن المنكر موازنًا بين المصالح والمضار، ناشرًا للعلم وحب النفع وبذل الجاه والشفاعة الحسنة للمسلمين في نوائب الحق والمعروف ولشرف العلم، فإنه يزيد بكثرة الإنفاق وينقص مع الإشفاق، وآفته الكتمان[(٣)].

يزيد كثرة الإنفاق منه ... وينقص إن به كفًا شددت

وإياك أخي الحبيب وكتمان العلم، فإن كتمانه آفة عظيمة، بل يجب نشر العلم والتصدق به على مستحقيه كما يتصدق صاحب المال بشيء من ماله وصدقة العلم أبقى دوامًا وأقل كلفة.

وأحذر أخي في الله ـ بارك الله فيك ـ حججًا يزينها الشيطان كي يُقْعِدُكَ عن العمل لدين الله، فلا تستحب فإن في الاستجابة لذلك إتاحة لأهل الشر والفساد أن ينشروا دعواتهم ونيل مآربهم وتخلي الداعية عن دعوته يُقِرُّ بفعله ذلك أعين شياطين الإنس والجن، وإن من الحجج التي يمليها الشيطان:

١ ـ دعوى فساد الزمان: فلا تحملك دعوى فساد الزمان وغلبت الفساق وضعف إفادةالنصيحة عن واجب الأداء والبلاغ فإن فعلت فهي فعلة يسوق عليها الفساق

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الحاكم على شرطهما، انظر: «صحيح الجامع برقم (٦٥١٧) من حديث عبد الله بن عمر.

(٣) «شرح حلية طالب العلم» (ص١٨٩-١٩٠) مختصراً.

الذهب الأحمر ليتم لهم الخروج عن الفضيلة، ورفع لواء الرذيلة[١]، وليعلم أخي الداعية: أنه ليس عليه هدى الناس، وإنما الذي كلف به هو البلاغ، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: ٢١-٢٢)، وقال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ (الشورى: ٤٨)، وقال: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ (فاطر: ٨)، فبعض هذه الآيات وغيرها كأني بأخي الداعية قد استأنس بها، وعزم على مواصلة الدعوة، ولم يلتفت إلى النتائج، فإن النتائج على الله وحده دون غيره وارتقب الأجر والثواب من الله إن خَلُصَتْ النية لله.

٢. **الخوف من الشهرة والظهور:** فقد يحجم البعض عن الإمامة بالناس وعن خطبة الجمعة، بحجة الخوف من الشهرة والظهور، وهذه وسوسة وهل يستفيد طالب علم ويحفظ وينتبه إلا إذا تصدر بالإخلاص[٢].

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما[٣].

٣. **الاحتجاج بقلة العلم والتسويف إلى ما بعد العلم:** إن بعضًا ممن يُرجى منهم الخير الكثير، تراهم قد اقتصروا على صلاح أنفسهم ولم يتجاوزوا بذلك الصلاح إلى غيرهم أمرًا ونهيًا، وحجتهم في ذلك قلة البضاعة العلمية، لسان حالهم لن نقوم بدور البلاغ حتى نصير كابن تيمية زمانه، وأحمد بن حنبل عصره، ولاشك أن هذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان، بل إن الواجب الدعوة إلى الله فيما يعلم المرء ومواصلة طلب العلم فيجتمع حينئذٍ التعلم والتعليم.

---

(١) المرجع السابق. (٢) «كيف تطلب العلم» (ص٦٣).

(٣) «تزكية النفوس» (ص١٧)، فيه نظر «فتاوى اللجنة الدائمة» (١/ ٣٥٢).

٤ ـ عقدة المستحيل ولا أستطيع: فمن مظاهر السلبية ودُنو الهِمَّة والحجج الواهية عقدة المستحيل نضع العقبات أمام أنفسنا ونغلق الأبواب في وجوهنا دون أن نبذل أدنى محاولة لممارسة الدعوة إلى الله.

سُئل نابليون قائد لجيش الكفر مؤخرًا: كيف زرعت الثقة في قلوب الجيش؟، فقال: مَن قال لا أقدر، قلت له: حاول، ومن قال: لا أعرف، قلت له: تعلم، ومن قال: مستحيل، قلت له: جرب[٢].

* **ولقد تأملت الدعاة إلى الله فوجدتهم أصنافًا ثلاثة:**

الصنف الأول ـ المفرطون في الشدة والغلظة والفظاظة والمغالون في المسائل والأحكام، لاسيما مسائل الجرح والتعديل، فقد يتنطعون في هذا الباب، أعني: باب الجرح والتعديل، حتى يسهل عليهم تجريح الشخص أو الجماعة بدون ضوابط ولا ميزان شرعي، وهؤلاء لا يُحمدون، لأنهم يهدمون أكثر مما يبنون ومن الرفق محرومون فهم على نقيض ما وصف الله به نبيه ﷺ حين قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

الصنف الثاني ـ المفرطون في اللين تحت حجة الواقع والمماشاة والمسايرة، فهؤلاء القوم لا يحسنون التعامل مع الأحكام الشرعية ولا ينزلونها منازلها، فقد يتراجعون عن أصول وثوابت ومسلمات ومسائل معلومة من الدين بالضرورة، ونعيقهم هو فقه الواقع، هكذا وصل به الحال حتى جعلوا الواقع دليلاً شرعيًا يجب أن تسند إليه المسائل، وتناسوا أن الأصل في الواقع أن يُعرض على الكتاب والسنة فإن وافقهما أُخذ به إن لم رُميَ به، وهذا الصنف عكسوا الأصل،

---

(١) من شريط «الرجل الصفر»، بتصرف، إبراهيم الدويش.

فجعلوا من الواقع دليلاً وميزانًا يسندون إليه المسائل، فلا نعلم متى كان الواقع مرجعًا يُعتمد عليه إنَّ هذا لهو البلاء المبين.

الصنف الثالث ـ أهل الوسط والاعتدال الجامعون بين الشدة واللين، يتعاملون بالشدة متى علموا أن الشدة أنفع لدين الله وذلك في مواضعها بالضوابط الشرعية، ويتعاملون بالرفيق واللين متى علموا أن ذلك أصلح للدعوة وبالضوابط الشرعية، فلا تجدهم يرفقون في موضع الأصل فيه الشدة ولا يغلون في موضع الأصل فيه الرفق، وهذه هي الحكمة بعينها، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩)، وهذا الصنف هو أبعد الصنفين عن الآفات.

وخير الأمور الوسط الوسيط وشره الإفراط والتفريط

* ***وأسوق لأخي شاب الصحوة بعض وسائل نجاح الدعوة:***

١ ـ الإخلاص لله وحده لا لشخص أو جماعة أو حزب أو حظ من حظوظ النفس أو الدنيا.

٢ ـ العمل بالعلم، فهو دعوة صامتة وصورة حية تدعوا الناس إلى الله من خلاله.

٣ ـ التحلي بمكارم الأخلاق، فهي (أعني الأخلاق الحسنة) سهام لصيد القلوب[1].

٤ ـ الهمة العالية، وهي من أهم وسائل نجاح الدعوة وسنفردها في موضوع مستقل.

٥ ـ الصبر على الأذى، فطريق الدعوة طريق شاق وصعب يحتاج إلى التحلي بخلق الصبر وسنفرده في موضوع مستقل.

---

(١) ولمزيد من الفائدة في هذا الباب راجع كتاب «طريقنا للقلوب» لمؤلفه: فيصل الحاشدي.

obeikandl.com

٦ ـ الأسلوب الحكيم والبصيرة النافذة في كل ما تدعوا به إلى الله ويتم ذلك بتحين الزمان والمكان المناسبين والبصيرة بالمدعو.

٧ ـ انتظار الثواب من الله وحده، ولا تنتظر شكرًا من أحد.

٨ ـ التخلي عن اليأس والقنوط الذي قتل كثير من الدعاة إلى الله، فالواجب انتظار الفرج المفاجئ.

٩ ـ عدم استعجال النتائج، فالعجلة في قطف ثمار الدعوة لا تتناسب مع الصبر الذي يجب أن يتحلى به الداعية فعلى الداعية أن لا يستعجل النتائج والثمرات بل يسعى ويعتمد على الله، ولاشك أن سيثمر ولو بعد حين، فكل عمل له جزاء، وكل داع له اتباع[1].

١٠ ـ الدعاء للمسلمين بالهداية والاستقامة والعز والتمكين، فإنه السلاح الأقوم بل هو العبادة كما جاء في الحديث الصحيح، والله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ﴾ (غافر: ٦٠).

(١) «من أخلاق الداعية» (ص٢٧) بتصرف.

الدرس الرابع

الصبر

الصبر: لغةً: المنع والحبس.

شرعًا: حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها[1].

والصبر قوة نفسية إيجابية فعالة، تدفع صاحبها إلى مقاومة كل أسباب الخور والاستكانة والاستسلام، وتحمله على المقصود والثبات أمام الفتن والمغريات، وأمام المكاره والأحداث، فإذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها وترادفت الضوائق وطال ليلها فالصبر وحده هو اذي يشع للمسلم النور من التخبط.

والصبر فضيلة يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه، وإلا كان هازلاً، فلذا يجب على المسلم أن يوطن نفسه على احتمال المكاره دون تضجر وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت بقلب لم تعلق به ريبة، وعقل لا تطيش به كربة، يجب أن يظل موفور الثقة، بادي الثبات، لا يرتاع لغيمة تظهر في الأفق ولو تبعتها أخرى وأخرى، بل يبقى موقنًا بأن بوادر الصفو آتية، وأن من الحكمة ارتقابها في سكون ويقين، فالصبر من الأهمية بمكان يجب على الدعاة التحلي به والتخلي عن الجزع والتشكي، وعن اليأس والقنوط.

ولما كانت منزلة الصبر منزلة رفيعة في الإسلام، بل رأس الفضائل، دعانا المولى تعالى إلى التحلي به في أكثر من موضع من كتابه الحكيم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

(١) «تزكية النفوس» (ص٨٤)، «فن الحوار» (ص١٧٩)، «البحر الرائق» (١٧٣).

تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، وقال: ﴿ولمن صبر وغفر إنَّ ذلك لمن عزم الأُمور﴾ (الشورى: ٤٣)، وقال: ﴿وجعلنا منهم أئمةً يهدُون بأمرنا لما صبروا وكانُوا بآياتنا يُوقنُون﴾ (السجدة: ٢٤)، ولقد قيل عند تفسير هذه الآية: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين[١].

وها هو ﷺ يرشدنا إلى هذا الخلق العظيم فيقول: «ومن يتصبر يصبره الله. وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»[٢]، وقال ﷺ: «والصبر ضياء»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري»، فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[٤].

فاعلم أخي ـ وفقني الله وإياك ـ أن الصبر هو الطريق الوحيد للوصول إلى ما نهدف إليه من تعبيد الناس لخالقهم، وهو العنصر الذي من خلاله نستطيع أن نستمر في دعوتنا إلى الله، خصوصًا ونحن نعلم علم اليقين ما يلاقيه الدعاة من محن وإحن وبلايا ورزايا، إن لم نستصحب الصبر زادًا لنا ونرتقب النصر القريب والفرج المفاجئ سنتعثر في الطريق ونتوقف عن المسير، ونقعد بلا عمل فإذا حصل ذلك نكون قد تركنا الساحة لأعداء الله ينشرون دعوتهم الباطلة؛ فإن الأمة التي لا تدعوا تُدعى، والتي لا تَغزو تُغزى[٥].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن».
(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري.
(٣) رواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري.
(٤) متفق عليه.
(٥) من شريط «الرجل الألف»، إبراهيم الدويش.

والصبر على ثلاثة أقسام:

١. صبر على طاعة الله: بامتـثال أوامره، واجتناب نـواهيه عن حب وتسليم ورضى تام، ومن ذلك قـول الله تعـالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه:١٣٢)، وقوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥)، ومن الصبر على الطاعات، الصبر على الدعوة، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (المزمل:٥).

فلاشك أن الصبر أمر لازم في حياة الداعـية ولنا معاشر الدعاة في رسل الله وأنبيائه قدوة وأسوة حسنة، فهذا نـوح عليه السلام لبث في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عـامًا، كان نتيجة دعـوته مع قومه أن وصموه بكثـرة الجدال، وجعلوا أصابعهم في أذانهم، وتواصوا بالصبر على آلهتهم وسخروا منه، ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (هود:٤٠).

وهذا هو هـود عليه السلام يُقال عنه سفـيه فصبـر، قال الله في شأنه: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا من قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف:٦٥-٦٦-٦٧).

وهذا صـالح عليه السلام يُكَذِّب وتعـقر ناقـته فصـبر، قـال الله تعالى في شـأنه: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (هود:٦٢).

وهذا شعيب عليه السلام يُستضعف ويُستهزأ به فصبر، قال الله في شأنه: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود:٩١).

تلك هي طريق الدعوة محفوفة بالمكاره والمصاعب، وكما أخبر ابن القيم ـ رحمه الله ـ حيث قال: الطريق طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، وأرمي في النار الخليل إبراهيم، واضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد بكاء داود، وعالج الأذى محمد ﷺ[١].

وكل هذا البلاء ليُعلم من خلاله الصادق في دعوته وإيمانه من الكاذب قال تعالى: ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (العنكبوت: ٣).

ثم اعلم أخي الداعية ـ بارك الله فيك ـ أن الثابتين في خط الدفاع الشرعي قليل فلا تُفاجأ إذا تخلى عنك أعزَّ الناس عليك وأقربهم ولقد قيل: إذا عظم المطلوب قلَّ المساعد[٢]، وقيل: طريق المعالي قليل الإيناس[٣].

لكننا نقول: من كان في الله كلهة كان على الله خلفه[٤].

فالداعية محروس بعناية الله فلا يضره كيد كائد إلاَّ بإذن الله تعالى قال ﷺ: «واعلم أنه ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.»[٥]، فوالله ما قام أحد بالحق لله وفي الله ما قام له أحد ولو كادت له السماوات والأرض[٦].

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ عند قول الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: والله يعصمك الناس.. وهكذا من سبقت له العناية من علماء هذه الأمة يعصمه الله من الناس

---

(١) «الفوائد» (ص ٥٠-٥١) بتصرف يسير. (٢) (٣) «الرجل الألف» شريط: إبراهيم الدويش.
(٤) المرجع السابق.
(٥) رواه الترمذي وأحمد والحاكم عن ابن عباس، وصححه الألباني في «الجامع» (٧٩٥٧).
(٦) من شريط «السما والسماوة»، علي القرني.

إن قام ببيان حجج الله وإيضاح براهينه وصرخ بين ظهراني من ضاد الله وعانده ولم يمتثل لشرعه لطوائف المبتدعة، وقد رأينا هذا من أنفسنا وسمعنا منه في غيرنا ما يزيد المؤمن إيمانًا وصلابة في دين الله، وشكيمة في القيام بحجة الله تعالى، وكل ما يظنه متزلزلوا الأقدام ومضطربوا القلوب من نزول الضرر بهم وحصول المحن عليهم، فهو خيالات محتلة وتوهمات باطلة، فإن كل محنة في الظاهر منحة في الحقيقة، لأنها لا تأتي إلاَّ بخير في الأولى والآخرة[1].

٢ ـ **صبر على معصية الله:** وذلك باجتناب نهيه عن حب وتسليم، ورضي تام، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ (الإنسان: ٣)، وقال ﷺ: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..»**، وذكر منهم: **«ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله»**[2].

٣ ـ **صبر على المكاره:** فإنه من أدنى شك في أن هذه الحياة مملوءة بالأقذار، مشوبة بالأكدار، متقلبة الأحوال لا تدوم على حال، فلما كانت هذه الحياة على هذا النحو فما أحوجنا إلى مواجهة تلك المنغصات بالصبر الجميل، فإنه الصلاة والرحمة والهدي من رب العالمين.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٦-١٥٧).

وجاء في الصحيحين وعند أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **«ما من مصيبة تصيب المؤمن إلاَّ كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها»**.

---

(١) «فتح القدير» (٢/ ٦٩)، من سورة المائدة: ٦٧.

(٢) رواه الشيخان عن أبي هريرة.

وجاء في مسند أحمد ـ رحمه الله ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وفي ماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة».

سُئل الجنيد ـ رحمه الله ـ عن الصبر، فقال: تجرع المرارة من غير تعبس[١].

وقيل الصبر: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب[٢]. وقال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة من المفاليس[٣].

وقيل في حقيقة الصبر: أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه وقوة الإحجام إمساكًا عما يضره[٤].

هكذا عرف سلفنا الصالح الصبر ومنزلة الصابرين فكانوا من الصابرين، فأبشر أخي الصابر بالخير العميم، والأجر العظيم، والفرج المفاجئ، فبعد الجوع شبع، وبعد الظمأ ري، وبعد السهر نوم، وبعد المرض عافية، وبشر الليل بصبح صادق يطارده على رؤوس الجبال ومسارب الأودية، بشر المهموم بفرج مفاجئ يصل في سرعة الضوء ولمح البصر، بشر النكوب بلطف خفي وكف حانية وادعة، بعد الدمعة بسمة، ومع الخوف أمنًا، ومع الفزع سكينة النار، لا تحرق إبراهيم التوحيد لأن الرعاية الربانية فتحت نافذة بردًا وسلامًا، فلا تضق ذرعًا فمن المحال داوم الحال وأفضل العبادة انتظار الفرج، ولعلَّ الله يحدث بعد العسر يسرًا[٥].

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فُرجت وكنت أظنها لا تفرج

---

(١) «تزكية النفوس» (ص٨٤).

(٢) المرجع السابق (ص٨٤)، «البحر الرائق» (ص١٧٤).

(٣) المرجع السابق (ص٩٤).

(٤) المرجع السابق (ص٨٦).

(٥) «لا تحزن» (ص٢٧) بتصرف، «ثلاثون سببًا للسعادة» (ص٢٩).

وقال آخر:

دع المقادير تجري في أعنتها ... ولا تبيتن إلا خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال

وفي الختام اعلم ـ يا رعاك الله ـ أن الصبر للدعوة كالعمود الفقري بالنسبة للإنسان، فالذي لا يصبر من السهل أن ينخلع عن دينه لأنه شيء يعترضه في طريقه، فوصيتي إليه بقول الله ووعده: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الروم: ٦٠)، فقد يتراجع بعض الدعاة عن دعوتهم نظرًا لطول الطريق وضغط الواقع والعقبات الحقيقية والوهمية[1].

بل قد تجعل العراقيل يصنعها لك بعض إخوانك العاملون في الساحة على اختلاف مشاربهم واسمائهم ورسومهم، ومن تلك العراقيل التنابز بالألقاب والطعن والتشويه والتجريح، وغير ذلك، وهذا لاشك أنه أخَّر الدعوة عقودًا طويلة وفتح الباب على مصراعيه لأعداء الله في تسخير جميع وسائلهم في صَدِّ الدعاة إلى الله، لاسيما المخلصون منهم عن تحقيق هدفهم وهو تعبيد الناس لله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ والحل مع هؤلاء الصبر والاحتساب والنصح والإرشاد ،وتبيين الخطأ من الصواب ،ودعاء العزيز الوهاب أن يؤلف بين القلوب والأجساد ـ اللهم آمين ـ.

(١) «من أخلاق الداعية» (ص٢١-٢٢) بتصرف.

الدرس الخامس

الهمة العالية

الهمة: استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور[١].

من سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة، مركز السالب والموجب في شخصك الرقيب على جوارحك يجلب لك بإذن ربك خيراً غير مجذوذ لترقى إلى درجات الكمال فيجري في عروقك دم الشهامة، والركض في ميدان العلم والعمل فلا يراك الناس واقفًا إلاَّ على أبواب الفضائل، ولا باسطًا يديك إلاَّ لمهمات الأمور، والتحلي بها يسلب منك سفاسف الآمال والأعمال، ويجتث منك شجرة الذل والهوان والتملق والمداهنة، فكبير الهمة ثابت الجأش لا ترهبه الموافق وفاقدها جبان رعديد تغلق فيه الفهاهة[٢].

وفي القرآن الكريم أكثر من آية في أكثر من موضع تحث على الهمم وتشحذ العزائم، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة: ١٠-١١)، وقال في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)، فلم يكتف هذا الصنف أن يكونوا من المتقين بل كان طلبهم أن يكونوا أئمة للمتقين في دنياهم وأخراهم.

أخا الإسلم والإيمان: إن من الناس من همته في الثرى ـ أي في التراب ـ، ومن الناس من همته في الثريا[٣]، وما من شك في أن أصحاب الهمم العالية، والقلوب الجياشة، والفطر السليمة، هم من يُرتقى بهم إلى سماء المجد، لأنهم

---

(١) «الهمة طريق إلى القمة» (ص١٣)، «الشباب وعلو الهمة» (ص٣).

(٢) «حلية طالب العلم» (ص٤٩).

(٣) من شريط «الرجل الصفر» إبراهيم الدويش.

لا يرتضون بالضعف والمسكنة، ولا بالذل والخضوع لغير الله، ولا يرتضون بالدون، لأن الراضي بالدون دنييء، ومختار القليل أقلَّ منه.

ولأنهم وقفوا عند كلام رسول الله ﷺ وهو يستثير الهمم فتأملوه ومن ذلك قول ﷺ: «فإذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس»[(١)]، وجاء من حديث العرباض عند الطبراني وصححه الألباني في «الجامع» برقم (٥٩٢)، بلفظ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه سر الجنة»، وقوله ﷺ: «لو يعلم الناس ما في الأذان والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه»[(٢)].

قال وهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل[(٣)].

وكان أبو مسلم الخولاني ـ رحمه الله ـ قد علق سوطًا في مسجد بيته مخوف نفسه، وكان يقول لنفسه: قومي فوالله لأزحفن بك زحفًا، حتى يكون الكلل منك لا مني، فإذا دخلت الفترة (شعر بالكسل)، تناول سوط وضرب به ساقه، وقال: أنت أولى بالضرب من دابتي، وكان يقول: أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا؟، كلا، والله لنزاحمهم عليه زحامًا حتى يعلموا أنهم قد خلفوا رجالاً[(٤)].

وصناعة الأبطال علم قد ذراه أو لو الصلاح ... ما لم يقن أصله من أهله فقد النجاح
لا يصنع الأبطال إلاَّ في مساجدنا الفساح ... في روضة القرآن في ظل الأحاديث الصحاح
شعب بغير عقيدة ورق يذريه الرياح ... من خان حي علي الصلاة يخون حي على الفلاح

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي من حديث عبادة بن الصامت.
(٢) متفق عليه.
(٣) «الشباب وعلو الهمة» (ص١٣).
(٤) المرجع السابق» (ص١٤).

رحم الله سلفنا الصالح لقد عرفوا حقيقة هذا الدين فتمثلوه، فهم حقًا أمة العقيدة والإيمان، فكانوا أصلب من الجبال.

كنا جبالاً في الجبال ... وربما صرنا على موج البحار بحارا

لسان حال أحدهم:

أنا لا أحب السير إلا مصاعداً ... ولا البرق إلا أن يكون يمانيًا

كلما تقدمت بهم الأيام إزدادوا تقدمًا وعلوًا ورفعة:

للمعالي فليعلون من تعالى ... هكذا هكذا وإلاَّ فلا لا

أخي ـ يا رعاك الله ـ كن صاحب همة عالية تُسَيِّرُكَ وترفعك، وعلم يبصرك، ويهديك، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: لابد للسالك من همة تسيره وترقيه وعلم يبصره ويهديه[1]، وليكن عندك طموح يتخطى آفاق الزمن وأقطار الأرض وحدود الدهر[2].

كن رابط الجأش ورافع راية الأمل ... وسر إلى الله في جدٍ بلا هزل

* ***وإليك أيها القارئ الكريم بعض الأسباب التي تعينك على علو همتك:***

١ ـ مصاحبة أصحاب الهمم العالية.

٢ ـ النظر في حياة السلف، وهممهم العالية.

٣ ـ استشعار المسؤولية.

٤ ـ رفض الاستعباد من البشر، وتوحيد العبودية لله.

٥ ـ معرفة الهدف الذي يسعى إليه.

٦ ـ العلم النافع.

٧ ـ انتظار الثواب من الله وحده.

---

(١) «الهمة طريق إلى القمة» (ص٢٩).

(٢) «قل هذه سبيلي» (ص٤٤).

هذه بعض الأسـبـاب التي تعين المسلم على علو هـمتـه، فـإياك إياك أخي المسلم ودنو الهمـة، والرضا بالدون وعقـدة المستحـيل والشعور بالضـعف، فإن الشعور بالضعف قتل للنفس[١].

* ***وحـتى لا تقع في وحل دنو الهـمـة، أذكـر لك أيها القـارئ الكـريم بعض أسبابها للحذر منها:***

١ ـ مصاحبة أصحاب الهمم الدنيئة، «وقل لي من تصاحب أقل لك من أنت».

فـــلا تجلس إلى أهل الدنايا فـإن خـلائق السـفـهـاء تُعـدي

٢ ـ عقدة المـستحيل ولا أسـتطيع ولا أعرف، سُئل نابليون: كـيف استطعت أن تولد الثـقة في نفوس أفـراد جيـشك، قال: كنت أجيب ثلاثًـا بثلاث: من قال: لا أقـدر، قلت له: حـاول، ومن قال: لا أعـرف، قلت له: تعلم، ومن قال: مستحيل، قلت له: جرب[٢].

٣ ـ عدم الثقة بالله ثم بالنفس، فلا يقتل الطموحات إلاَّ استصغار الإنسان لنفسه لأنه يكبلها بالعـجز، حتى يصل إلى حـد الشك الذي يعوقه عن الحـركة، والانتاج وطاقة الإنسان تتآكل غالبًا حينما يزدري الإنسان نفسه[٣].

٤ ـ التسويف، فإن التسويف جندي من جنود إبليس.

٥ ـ إلقاء التبعة على الغير.

٦ ـ انتظار الثواب من المخلوقين.

٧ ـ قلة العلم.

---

(١) من شريط «الرجل الألف»، إبراهيم الدويش.

(٢) من شريط «الرجل الصفر» إبراهيم الدويش.

(٣) من شريط «الرجل الألف»، إبراهيم الدويش.

٨ ـ ضعف الإيمان بالله.

٩ ـ حب السلامة فلا يريد أذىً لنفسه أو عرضه أو ماله.

حب السلامة يثني هم صاحبه ... عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فإن جنحت إليه فاتخذ نفقًا ... في الأرض أو سلمًا في الجو فاعتزل

**** وبعد أن سقت لأخي القارئ الكريم بعضًا من أسباب دنو الهمة أنتقل به إلى أهم مظاهر السلبية، ودنو الهمة[1]:***

١ ـ الخمول والكسل: فدنيء الهمة لا يكلف نفسه القيام بمصالحه الشخصية فضلاً عن غيرها فماذا نقول عن حاله مع الطاعات والعبادات من قيام ليل وصلاة وتر وغيرها من العبادات.

٢ ـ الرضا بالدون: قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ في (صيد الخاطر): من علامة كمال العقل علو الهمة والراضي بالدون نيء.

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا ... كنقص القادرين على التمام

٣ ـ التهرب من كل عمل جدي وعدم الاستعداد لعمل أي شيء: خداع للنفس بالانشغال وهو فارغ كم من الناس إذا كُلِّف بأمر قال مشغول وحقيقة أمره أنه غير مشغول، والأخطر من ذلك النقد المستمر لكل عمل إيجابي وتضخيم الأخطاء، كل ذلك تبرير لعجزه وسلبيته القاتلة بعض الناس لا يعمل ويا ليته لم يعمل فقط، بل جعل نفسه راصداً لأعمال إخوانه مرة بالنقد ومرة بالجرح، ومرة بالتثبيط والتخذيل، والتنصل من المشاركة والعمل، وكلما كلفناه بمشاركة، قال: لا أستطيع ـ فنعوذ بالله من جلد الفاسق وعجز الثقة ـ .

---

(١) هذه المظاهر مأخوذة من شريط «الرجل الصفر»، إبراهيم الدويش، بتصرف.

ولم أجد الإنسان إلاَّ ابن سعيه ... فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا
وبالهمة العليا ترقي إلى العلا ... فمن كان أعلى همة كان أظهرا
ولن يتأخر من أراد تقدما ... ولن يتقدم من أراد تأخرا

٤ ـ عقدة المستحيل، ولا أقدر: نعم، نحن بأنفسنا نصنع العراقيل ونضع العقبات فلماذا عذر المستحيل هي الورقة التي نلوح بها دائمًا، كثير من العقبات والعراقيل، التي تقف أمامنا إنما هي عقبات وعراقيل وهمية، وما هي إلاَّ حيل نفسية فنحن نعيق أنفسَنا بأنفسِنا عن العمل فكل عمل بمقدورنا أن نفعله ليس بمستحيل أبدًا:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتكبر في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

٥ ـ الضعف والفتور أثناء أوقات العافية، أو في مراحل العمر الجاد: عجيبًا، وأنت ترى الشباب يقابل هذه النعمة العظيمة نعمة الشباب، ومعدن العافية بالنكرات، وتزجية الأوقات في غير طاعة الله، بل وربما بمحاربة الله بالمعاصي فلا تراه إلاَّ واهن العزم بليد الهمة، يعيش وهمه شبع بطنه، وليونة ملبسه، وراحة جسده، وفوز فريقه[1].

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الناس ثلاثة: فعالمٌ رباني، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، أفٍ لحامل حق لا بصيرة له، ينقدح الشك في قلبه في أول عارض من شبهة لا يدري أين الحق، إن قال أخطأ وإن أخطأ لم يدري[2].

ـ هذه هي بعض مظاهر السلبية ودنو الهمة.

---

(١) «الشباب وعلو الهمة» (ص٦).
(٢) «الرجل الصفر» شريط للشيخ/ إبراهيم الدويش.

وبالمناسبة أسلط الضوء على واقعنا اليوم ففيه عجبًا رجالنا وشبابنا ونساؤنا للدنيا همم، وللدين فتور وعجز وكسل، لسان حال أحدهم: أنا رب إبلي والبيت لها رب يحميها، يريدون بمقالتهم التخلي عن الدين وعدم الانتصار له، فنقول لهم: نعم للدين رب يحميه لكن أولسنا نحن المسلمين خلفاء الله في أرضه، استخلفنا الله لنشر دينه ورفع رايته، وإعلاء كلمته، وتحكيم كتابه، واتباع سنة نبيه؟! فلماذا تخلينا عن هذه الأوامر التي ترقى بنا إلى سماء المجد؟!

لماذا تهيبنا صعود الجبال وفضلنا القعود في الحفر؟!

فمن يتهيب صعود الجبال ... يعش أبد الدهر بين الحفر

لم أخلينا الساحة لأعداء الله يعبثون كما يريدون ويقولون ما يشاؤون، ويحققون ما يحلمون وقوانينهم يحكمون، وأفكارهم ينشرون ومن نشر باطلهم لا يسأمون ونحن وقفنا أمامهم قابعين عاجزين؟.

أليس نبينا ﷺ قد حذرنا عن العجز حيث قال: «واستعن بالله ولا تعجز»[1]، أي: والله لقد عجز الكثير من المسلمين عن مواجهة الأعداء فإلى الله نشكوا حالنا وعجزنا، فلنراجع أنفسنا أين نحن من سلفنا الصالح، وعزائمهم وجهادهم وزهدهم في الدنيا، واشتياقهم للآخرة.

إن لله عبادًا فطنًا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

(١) رواه مسلم.

فلابد أن نرجع إلى ماضينا؛ فمن لا ماضي له لا حاضر له.

إني تذكرت والذكرى مؤرقتي ... مجداً تليداً بأيدينا أضعناه
كم صرفتنا يد كنَّا نصرفها ... وبات يملكنا شعب ملكناه

وليُعلم أنه: لن يصلح حالنا إلاَّ الذي أصلح أحوال سلفنا الصالح:

بتنا نعيش على كرام فعالهم ... هيهات ليس الحرُّ كالمستعبد
أين الجبال من التلال أو الرُّبى ... أين القوي من الضعيف المقعد
لا القوم مني لا ولا أنا منهم ... إن لم أفقههم في العلا والسؤدد

الدرس السادس

المحافظة على الوقت

الوقت: هو الحياة، وأنفاس لا تعود.

الوقت: هو العمر، والعمر رأس مال الإنسان فإما ربحٌ، وإما خسار وبوار.

ولجُلِّ عظمته وجلال قدره أقسم به سبحانه في أكثر من آية واستفتح به أكثر من سورة، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (العصر:١-٢)، وقال أيضًا: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر:١-٢)، وقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ (الليل:١-٢)، وقال: ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (الضحى:١-٢)، وقال: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (المدثر:٣٢-٣٣-٣٤)، وقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير:١٧-١٨)، والآيات في هذ الباب كثيرة جدًا إن دلَّ ذلك، فإنما يدل على عظمة الوقت وأهميته، ووجوب تنظيمه المحافظة عليه، فإن الله حين أكثر من القسم به فيه إشعاراً بعظمته.

ومما يدل على عظمة الوقت ووجوب المحافظة عليه وتنظيمه أن أهم شعائر الإسلام لها أوقات منظمة ومحدودة توحي بوجوب الحرص علي الوقت وتنظيمه، فهذه الصلاة يقول فيها سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء:١٠٣)، ويقول: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ (الإسراء:٧٨)، وكذلك الزكاة لها وقت معلوم قال الله في شأنها: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام:١٤١)، وكذا الصوم له وقت معلوم، قال الله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة:١٨٥)، وأيضًا: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ (البقرة:١٨٧)، ومثل ذلك الحج: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ (البقرة:١٩٧).

وها هو نبينا ﷺ يـذكر بالوقت وأهميـته في أكثـر من حديث، من ذلك قوله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسئل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به**»[(١)].

وقال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**اغتنم خمس قبل خمس**»، وذكر منها: «**حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك**»[(٣)].

ولما كان الوقت من الأهمية بمكان فقد اعتنى وحرص عليه سلفنا الصالح:

فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «**ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت فيه شمسه نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي**»[(٤)].

وقال الحسن البـصري ـ رحمه الله ـ: لقد أدركت أقوامًـا كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه[(٥)].

وقال رجل لعامـر بن قيس: كلمني، فقال له: امـسك الشمس[(٦)]، ففي هذا إشارة على مدى حرصهم على الوقت ما يغني عن البيان.

وكان أبو مسلم الخولاي ـ رحمـه الله ـ يقول: لو رأيت الجنة عيانًا ما عندي مستزاد ولو رأيت النار عيانًا ما عندي مستزاد[(٧)].

---

(١) رواه الترمذي عن أبي برزة وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٩٤٦).
(٢) رواه البخاري عن ابن عباس.
(٣) رواه الحاكم وابن ماجه عن ابن عـباس مرفوعًا، وأحمد في «الزهد»، وأبـو نعيم في «الحلية»، وقال الألباني: حديث صحيح برقم (١٠٧٧).
(٤) من شريط: «أهمية تنظيم الوقت».
(٥) (٦) المرجع السابق.
(٧) «الوقت أنفاس لا تعود» (ص١٩).

obeikandl.com

ولقد كان الإمام ابن عقيل الحنبلي ـ رحمه الله ـ يقول: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة أعملت فكرى في حال راحتي، وأنا مستطرح[١].

هؤلاء أباؤنا الذين سدد الله السنتهم وشرح صدورهم للحق.

أولئك أبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وقال آخر:

يا من يذكرني بعهد أحبتي ... طاب الحديث الحديث بذكرهم ويطيب

أعد الحديث عليَّ من جنابته ... إن الحديث عن الحبيب حبيب

أخي ـ يا رعاك الله ـ اعلم أن مرحلة الشباب أهم مرحلة يمر بها الإنسان ففي وقت شرخ الشباب ومقتبل العمر ومعدن العافية بمقدور الإنسان أن يفعل فيها ما لا يقدر عليه في غيرها من المراحل، كمرحلتي الصغر والكِبر، فمرحلة الشباب لها ميزتها الخاصة عن غيرها، ولذلك كان السؤال عنها أخص من غيرها، فقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسئل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به**»[٢].

ونبه ﷺ على أهميتها وعلى فضل من اغتنم شبابه بالطاعات حيث قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»، وذكر منهم: «**وشاب نشأ في عبادة الله**»[٣].

---

(١) «الهمة طريق إلى القمة» (ص٤٥).

(٢) رواه الترمذي عن أبي برزة، صححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤٦).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

فلا تجعل شبابك سبهللاً، فتندم بعد فواته:

عريت من الشباب وكنت غضًا ... كما يعري من الورق القضيب

ونحتُ على الشباب بدمع عيني ... فما نفع البكاء ولا النحيب

فياليت الشباب يعود يومًا ... فأخبره بما فعل المشيب

فالله الله في الوقت، الوقت الوقت للتحصيل فكن حلف عمل لا حلف بطالة وبطر، وحلس معمل لا حلس ثلة وسمر، فالحفاظ على الوقت: بالجدود والإجتهاد، وملازمة الطلب، ومثافنة الأشياخ، والاشتغال بالعلم قراءةً وإقراءً، ومطالعةً وتدبرًا، وحفظًا وبحثًا، لاسيما في أوقات شرخ الشباب ومقتبل العمر، ومعدن العافية، فاغتنم هذه الفرصة الغالية لتنال رتب العلم العالية، فإنها وقت جمع القلب، واجتماع الفكر لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة، والترؤس ولخفة الظهر والعيال.

ما للمعيل ولعوالي إنما ... يسعى إليهن الفريد الفارد

وإياك وتأثير التسويف على نفسك فلا تسوف لنفسك بعد الفراغ من كذا، وبعد التقاعد عن العمل هذا، وهكذا بل البدار البدار[1].

وقال بعض الفضلاء: من زرع كلمة سوف أنبتت له نبتة ليت أثمرت له لعلَّ ثمرها الخيبة والندامة[2].

وإن تعجب فعجب لحالنا وواقعنا المرير مع أوقاتنا فكم تجد وأجد من شباب ورجال وأطفال ونساء، أوقاتهم تمر مرَّ السحاب بلا حساب، فلا دنياهم عمروا ولا آخرتهم أصلحوا، قطعوا أوقاتهم تارة في الحديث عن الدنيا وهمومها،

---

(١) «حلية طالب العلم» (ص٦٢-٦٣).

(٢) من شريط «الأعمال بالخواتيم»، عائض القرني.

وغمومها، فازدادوا وهمًا إلى همهم وغمًا فوق غمهم، وتارة بالسفر الدائم الذي لا يعودون من ورائه بعائدة ولا يستفيد من ورائه بفائدة، وتارة باستماع الملاهي من الأغاني والأناشيد البدعية المسماة بالأناشيد الإسلامية، خارجًا من ذلك الأناشيد المضبوطة بالضوابط الشرعية، وتارة بالنظر إلى التلفاز، والقنوات الفضائية، ومطالعة المجلات والجرائد التي جميعها تمسخ هوية المسلم وتجعله بهيمة في مسلاخ بشر، وتارة بمجالس القات القاتل للأوقات والمدمر للطاقات غالب حديثهم أوهام وخيالات كل يهرف بما لا يعرف ويهذي بما يؤذي ولا يذكرون الله إلاَّ قليلاً.

وتارة بالجدال والمراء ـ عافانا الله من هذا البلاء فكم كثر الجدال في زمننا هذاكل يناطح من أجل جماعته وحزبه، وغالبًا ترى ذلك حاصلاً بين الشباب المسلم فما عادوا من وراء ذلك بناقة ولا جمل إلا ضياعًا للأوقات، وفسادًا للنيات، وقسوة للقلوب، ومقتًا عند علام الغيوب، ولقد قيل: من علامة المقت إضاعة الوقت.

* *وأسوق إلى أخي الحبيب بعض الأمور التي تساعده على اغتنام وقته:*

١ ـ استحضار مراقبة الله للعبد.
٢ ـ معرفة أهمية الوقت.
٣ ـ تنمية الهمة العالية.
٤ ـ تحديد الأهداف التي يريد انجازها
٥ ـ البعد عن مجالسة قاتلي الأوقات.

لقاء الناس ليس يفيد شيئًا ... سوى الإكثار من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا ... لأخذ العلم أو إصلاح حال

٦ ـ ترك الفضول في كل شيء.
٧ ـ مصاحبة مغتنمي الأوقات.
٨ ـ توزيع الأعمال حتى لا يمل.
٩ ـ قراءة أخبار مغتنمي الأوقات، وخاصة سير السلف الصالح.

obeikandl.com

١٠ ـ عدم تعويد النفس على عادة معينة إلا ما كان طاعة وعبادة.

١١ ـ الاستفادة من التقنية الحديثة كالحاسوب وغيره.

١٢ ـ القناعة بوجوب التغيير إلى الأحسن وبالوسائل المشروعة.

وختامـــًا،

كلي أملٌ بك أيها الشاب الغـالي من أن تغير من وضعك؛ فتعـمر وقتك بما يقربك إلى مـولاك سبـحانه وتعالى، وكـأني بك حين قرأت هذه الكلمـات قد عزمت على تصـميم جدول لأعـمالك اليـومية، وقد قـدمت الأهم على المهم، وعزمت على أن تبدأ بالمضـيق قبل الموسع، وأن يكون العمل المناسب في الوقت المناسب، وجعلت الأوقـات الفاضلة في حسـاباتك، وصار شعـارك لا فراغ لا فراغ، فإن الراحة للرجال غفلة، ومن لزم الرقاد فاته المراد.

الدرس السابع

الذكر

الذكر: هو ما يجري على اللسان والقلب من تسبيح لله تعالى وتنزيهه وحمده، والثناء عليه، ووصفه بصفات الكمال، ونعوت الجلال والجمال[١].

ولقد مدح الله الذاكرين وأثنى عليهم الثناء العظيم، وأعدَّ لهم المغفرة والأجر العظيم، فقال في كتابه الحكيم: ﴿ والذَّاكِرِين اللَّه كثيرا والذَّاكرات أعدَّ اللَّهُ لهُم مَّغْفِرةً وأجْرًا عظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٣٥)، بل أمرنا سبحانه بذكره، فقال: ﴿ فاذْكُرُوني أذْكُرْكُمْ واشْكُرُوا لِي ولا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة: ١٥٢)، فلو لم يكن من فوائد الذكر إلاَّ ذكر الله لنا لكفى.

بل أنه سبحانه جعل الذكر سببًا من أسباب انشراح الصدر واطمئنان القلب، فقال سبحانه: ﴿ ألا بذكْرِ اللَّه تطْمئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨)، وقال: ﴿ إنَّما الْمُؤْمنُون الَّذين إذا ذُكر اللَّهُ وجلتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال: ٢).

أخي ـ يا رعاك الله ـ اعلم أن للذكر فوائد لا تُحصى منها: أنه يرضي الله ويطرد الشيطان، ويذهب الهم والحزن ويجلب السعادة، ويشرح الصدر، ويجلب الرزق، ويزيد الذاكر مهابة، ويرفع الدرجات ويحط الخطايا، ويزيد في التقوى، وينجي من العذاب، وهو غراس الجنة، وشقاء القلب[٢].

---

(١) «ففروا إلى الله» (ص١٤٤).

(٢) «ذكر الله وفوائده» (ص٩-١٠).

جاء عند الترمذي، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٤٢٩)، وفي «الصحيحة» برقم (٦٤) من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة»، وجاء في صحيح البخاري من حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»، وفي الترمذي من حديث عبد الله بن بسر أن النبي ﷺ قال: «لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله»، وأخرج البخاري تعليقًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس له».

قال رجل لسلمان: أي الأعمال أفضل؟، فقال: «أما تقرأ القرآن، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت: ٤٥)؟»[(١)].

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا خرج من الماء؟[(٣)].

فالله الله في الذكر في كل طرفة ولمحة، فإنه أعظم معين لك على طاعة الله وكافٍ لك عن المعاصي[(٤)].

ذكر الله يرقق المشاعر ويوقظ القلوب والضمائر، ويرهف الإحساس، ويشرح الصدور، ويسمو بالنفس ويزكيها، ويسترفع بها عن شهواتها، ويملك جماحها، ويرفع الدرجات ومع ذا خفيف على اللسان ثقيل في الميزان حبيب إلى الرحمن:

الله أكبر كل همٍّ ينجلي ... عن كل قلب مكبر ومهلل

---

(١) «تزكية النفوس» (ص٤٦).
(٢) المرجع السابق (ص٤٨).
(٣) «البحر الرائق» (ص٧٨).
(٤) «كيف تطلب العلم» (ص٢٦).

وحذار حذار من الغفلة، فإنها البلية والرزية، عافانا الله من داء الغفلة، فها هم أعداء الإسلام قد جندوا أنفسهم وأموالهم وبذلوا أقصى ما عندهم لإلهاء المسلمين وإغوائهم وإغفالهم، مسخ فطرهم وإنشغالهم بدنياهم عن دينهم مكرٌ بالليل والنهار عبر وسائل الإعلام فأشغلونا بالمجلة والجريدة، والمذياع والتلفاز، وما يحتوي فيهما من غناء ماجن، وفيلم ساقط، وتمثيلية هابطة، وفوق ذلك صنعوا لنا الدشوش المسَّاخة، لتبث لنا سموم الغرب الكافر، فتمسخ أخلاقنا وهويتنا وتدمر بيوتنا وتفسد قلوبنا وتقتل أوقاتنا.

ثم عملوا جاهدين على تفريقنا، وذلك بإدخال فكرة الأحزاب والتعددية السياسية تحت ظل الديمقراطية المشؤومة، حتى ننشغل بعضنا وننسى عروبتنا ونحن عن ذلك غافلون، فإنا لله وإنه إليه راجعون، آن الأوان أن نفيق ونستيقظ، آن لنا أن نستبدل بدلاً من الصحيفة القرآن، ومن المجلة صحيح السنة، ومن السهر على التلفاز السهر على القيام في جنح الظلام لترضي بذلك الملك العلام.

آن لنا أن نطرد سبات الغفلة، فنوحد الله سبحانه ونسبحه ونمجده وندعوه ونستغفره، ونجدد توبتنا في كل حال.

قال الشافعي:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سُلَّما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما[1]

(١) «البحر الرائق» (ص٨٦).

الدرس الثامن

الـرفـق

الرفق: هو اللطف، ومعناه الدفع بالتي هي أحسن[١].

قال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، وقال أيضًا: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (الشورى: ٤٣)، وقال: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

وقال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»[٢].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلاَّ زانه، ولا ينزع من شيءٍ إلاَّ شانه»[٤].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»[٥].

كل هذه الآيات والأحاديث تدعونا إلى التخلق بخلق الرفق، فإن الرفق مفتاح القلوب، فلاشك أنه من أعطي الرفق والخلق، فقد أعطى الخير كله،

---

(١) «فن الحوار» (ص٢٠٩)، فيصل الحاشدي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) (٤) رواهما مسلم.

(٥) متفق عليه.

والراحة كلها، وحسن حاله في دنياه وآخرته، ومن حرم الرفق والخلق كان ذلك سبيلاً إلى كل شر، وبلية إلاَّ من عصمه الله[١].

والناس جميعهم محتاجون إلى التعامل بالرفق واللين، لاسيما الدعاة إلى الله، فإنه يلزمهم التحلي بالرفق في كل موطن يكون التعامل بالرفق هو الأنفع للدعوة إلى الله تأسيًا برسول الله ﷺ، يوم بال الأعرابي في المسجد قام الصحابة وهموا أن يقعوا به فقال ﷺ: «دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء»[٢].

هذه صورة من صور وموقف من مواقف في حسن خلقه ورفقه ﷺ:

لم أر مثل الرفق في لينه ... أخرج للعذراء من جذرها
من يستعن بالرفق في أمره ... يستخرج الحلية من جُحرِها

وقال ابن عقيل الحنبلي ـ رحمه الله ـ: البشر مؤنس للعقول، ومن دواعي القبول، والعبوس ضده[٣].

وجاء في كتاب (لا تحزن)[٤]: إن الرفق في التعامل تذعن له الأرواح خير، وتستسلم له النفوس المستعصية، وتثوب إليه القلوب الحاقدة.

الرفق أيمن شيء أنت تتبعه ... والحرقُ أشأم شيء يقدم الرَّجُلا
وذو التثبت من حمد إلى ظفر ... وراكب الرفق لا يستحقب الزللا

ولقد تأملت الدعاة فوجدتهم أحد ثلاثة:

١ ـ المفرطون في الرفق: فهؤلاء لا يحسنون التعامل مع المواقف فليسوا بالحكماء، لأن الحكيم من تحلى بالحكمة، والحكمة: وضع الشيء في موضعه، ومن حرم الحكمة فقد حرم خيرًا كثيرًا، ﴿ومن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ

(١) سوء الخلق (ص١٢٢-١٢٣)، تحفة الخطيب (ص٨٩)، نقلاً من «حلية الأولياء» (٣/ ١٨٦).
(٢) رواه البخاري. (٣) «تحفة الخطيب» (ص٩٠)، نقلا من «الفنون» لابن العقيل (٢/ ٦٣٥).
(٤) «لا تحزن».

خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة:٢٦٩)، فمن غلوهم في الرفق أن وصلوا ببعض المسائل والأحكام إلى حد التمييع والتضييع والتراجع المقيت في مسائل الشرع، وكل ذلك تحت حجة الواقع والرفق بالأمة فهؤلاء أخطأ والسبيل، وإن كان نيات البعض منهم حسنة فكم من مريد للخير لا يصيبه.

٢ ـ المفرطون في الشدة: فهؤلاء قد حرموا الرفق فحرموا الخير كله، وشدة في غير موضعها، تضر أكثر مما تنفع، وهي محنة لا منحة، وبلية لا عطية، وتُعدَّ هوس وجنون.

جاء في كتاب (لا تحزن): إن العجلة والهوج والطيش في أخذ الأمور وتناول الأشياء كفيلة في حصول الضرر وتفويت المنفعة، لأن الخير بُني على الرفق[١].

٣ ـ أهل الوسط والاعتدال: الجامعون بين الرحمة واللين، وبين الشدة والغلظة، يضعون الأمور في مواضعها، رفق موضع الرفق ، وشدة في موضع الشدة.

فسا ليزدجروا ومن يك حازمًا ... فليقس أحيانًا على من يرحم

فمن صفات أهل السنة والجماعة «أنهم يجمعون بين الرحمة واللين، والشدة والغلظة، بخلاف غيرهم ممن يأخذ جانبًا من هدي السلف ويدع الجانب الآخر، ويأخذون بالشدة في جميع أحوالهم، أو باللين في جميع أحوالهم، أمَّا أهل السنة فيجمعون بين هذا وهذا وكلٌ في موضعه حسب ما تقتضيه المصلحة ومقتضيات الأحوال»[٢].

---

(١) «لا تحزن» (ص٤٧١).

(٢) «مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة» (ص٣٤-٣٥).

الدرس التاسع

الحوار الهادئ

الحوار: أصله من الحور، وهو الرجوع من الشيء وإلى الشيء.

وبالفهم: هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين[١].

ولقد ذكر الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ الحوار في كتابه الكريم، فقال: ﴿وكان له ثمرٌ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرا﴾ (الكهف: ٣٤)، فالحوار الهادئ كثيراً ما يؤتي ثماره، فقد وجد بالخبرة والتجربة أن الصوت المعتدل الهادئ المتأني من غير صراخ أو صياح، ومن غير إسرار وإخفات، هو الأدخل في النفوس، والأنفذ في الأعماق، والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم[٢].

وللحوار الهادئ فوائد جمة، تعود على المحاور من تلك الفوائد:

تزداد ثقافته ويزداد علمه، وتقوى محجته، وتنفذ بصيرته، ويتعلم قبول الحق والأخذ به، ولو من مخالفه وخصمه، ويعرف قدر نفسه، ومحاوره وغير ذلك من الفوائد والمكاسب، وقبل ذلك «لاشك أن الغض من الصوت فيه أدب مع الله وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، قال تعالى: ﴿واغْضُضْ من صَوْتِكَ﴾ (لقمان: ١٩)، قال ابن كثير في معنى قول الله تعالى: ﴿واغْضُضْ من صَوْتِكَ﴾ أي: لا تبالغ في الكلام وترفع صوتك فيما لا فائدة فيه[٣].

ولقد قيل: لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السامع فإنه رعونة وإيذاء، فالمحاور المخلص لله «لا يبالي أظهر الله الحقَّ على يديه أو على يد من يحاوره، ويرى محاوره معينًا لا خصمًا، فيشكره إذا عرَّفه بالخطأ وأظهر له الصواب»[٤].

---

(١) «فن الحوار» (ص٥)، بتصرف.
(٢) المرجع السابق (ص١٩٥) بتصرف.
(٣) المرجع السابق (ص١٩٤).
(٤) المرجع السابق (ص٨٥).

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: ما كلمت أحدًا قط إلا ولم أبال بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه[١].

ومن اللطائف قول يونس الصوفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته في مسألة، ثم افترقنا ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة.

أخي ـ وفقني الله وإياك للعلم النافع والعمل الصالح ـ إذا أردت أن يكون حوارك هادئًا فتعرف على محاورك فقد يكون محاورك جاهلاً أو متعنتًا أو سفيهًا أو مستكبرًا؛ فجميع هؤلاء لا تحاورهم بل أغلق باب الحوار لأول وهلة، فإنه لا يُجنى من شجر الشوك ثمرًا، بل قد يصير الحوار مع هؤلاء مراءً وجدالاً، والمراء والجدال لا يأتيان بخير أبدًا.

جاء في (حلية طالب العلم): «فهدي السلف الكف عن كثرة الخصام والجدال، وأن التوسع فيه من قلة الورع، كما قال الحسن إذا سمع قومًا يتجادلون: هؤلاء ملوا العبادة، وخف عليهم، وقل ورعهم فتكلموا»[٢].

وجاء في (الحلية) أيضًا: كن سلفيًا على الجادة طريق السلف من الصحابة ﷺ فمن بعدهم ممن قفا أثرهم في جميع أبواب الدين من التوحيد والعبادات ونحوها متميزً بالتزام آثار الرسول ﷺ، وتوظيف السنن على نفسك وترك الجدال والمراء والخوض في علم الكلام، مما يجلب الآثام ويَصُدَّ عن الشرع[٣].

أخي ـ يا رعاك الله ـ إحذر الجدل العقيم؛ «فإن اشتغال طالب العلم بمسائل لم تقع، ولن تقع سفه منه وتشاغله بمسائل لا طائل من البحث فيها حمق وهوج

(١) المرجع السابق (ص٨٥).
(٢) «حلية طالب العلم» (ص٨٤).
(٣) المرجع السابق (ص١٢).

وحدته وغضبه على مخالفه في مسائل يسع المسلم فيها السكوت من قلة علمه وعقله والله المستعان[١].

«بل إن من صفات أهل السنة والجماعة: أنهم قد تركوا الخصومات في الدين ومجانبة أهل الخصومات، لأن الخصومات مدعاة للفرقة والفتنة ومجلبة للتعصب واتباع للهوى ومطية للانتصار للنفس، والتشفي من الآخرين ذريعة للقول على الله بغير علم»[٢].

* *واسوق إليك أخي الحبيب بعض أضرار الجدال والمراء:*

١ ـ **مرض القلب وفساده:** قال جعفر بن محمد: إياكم والخصومات، فإنها تشغل القلب وتورث النفاق.

٢ ـ **التفرق بين المسلمين:** قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة، والفرقة عذاب[٣].

٣ ـ **ضياع الوقت.**

٤ ـ **العجب بالنفس واحتقار الآخرين.**

٥ ـ **الاستكبار عن الحق.**

* ومع ذلك فالجدال ينقسم إلى قسمين:

١ ـ أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق، وإبطال الباطل، وهذا مأمور به وجوبًا أو استحبابًا، لقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

---

(١) «كيف تطلب العلم» (ص١٢).

(٢) «مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة» (ص٣٨).

(٣) «معالم الانطلاق الكبرى» (ص٨٤)، نقلاً من «الفتاوى» (٣/ ٤١٩).

٢ ـ أن يكون الغرض من التعنيت أو الانتصار للنفس أو للباطل، فهذا قبيح منهى عنه، لقوله تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ ﴾ (غافر: ٤).

قال بلال ابن سعيد ـ رحمه الله ـ : «إذا رأيت الرجل لجوجًا ماريًا معجبًا، فقد تمت خسارته»، ويا لله ما أجمل المناظرة بلا مماراة، نعم أخي، إن المناظرة المجردة من المراء نعمة عظمى تحصل بها فوائد شتى، أما المناظرة الممزوجة بالمراء، فإنها نقمة كبرى.

ورد في (الحلية): «إياك والمماراة؛ فإنها نقمة أما المناظرة في الحق، فإنها نعمة، إذ المناظرة الحقه فيها إظهار للحق على الباطل، والراجح على المرجوح، فهي مبنية على المناصحة والحلم ونشر العلم، أما المماراة في المحاورات والمناظرات، فإنها تحجج ورياء، ولغط وكبرياء، ومغالبة ومراء، واختيال وشحناء، ومماراة للسفهاء، فاحذرها واحذر فاعلها، تسلم من المآثم وهتك المحارم، وأعرض تسلم وتكبت المأثم والمغرم»[(١)].

وإليك أخي الحبيب أدب المناظرة مجملة في أبيات للإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ:

إذا ما كنت ذا فضل وعلم ... بما اختلف الأوائل والأواخر
فناظر من تناظر في سكون ... حليمًا لا تُلح ولا تكابر
يُفدك من استفاد بلا امتنان ... من النكت اللطيفة والنوادر
وإيلك اللجوج ومن يرائي ... بأني قد غلبت ومن يفاخر
فإن الشر من جنبات هذا ... يمني بالتقاطع والتدابر[(٢)]

---

(١) «حلية طالب العلم» (ص٦٨).

(٢) «فن الحوار» (ص١٩٧)، نقلاً من ديوان الشافعي (ص٦١).

فكأني بأخي الحبيب، وقد عزم على نفسه أن يترك الجدال والحوار غير النافع، خصوصًا مع أصحاب الأهواء والبدع من الحزبيين، وغيرهم الذين قد سلموا عهودهم ومواثيقهم لقوادهم وروادهم عبر الجلسات السرية والبيعات البدعية، فهؤلاء لا يحاورن؛ لأنهم لا ينظرون للحق إلاَّ من زاوية الحزبية المقيتة، فحوارك لهم يفسد قلبك ويقتل وقتك، ففر من حوارهم فرارك من الأسد؛ لأنهم لا يتواضعون للحق[١].

قال أبو حامد ـ رحمه الله ـ: فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسوء إذا اتضح الحق على لسان خصمه، وكيف يخجل به، وكيف يجهد في مجاحدته، وكيف يذم من أفحمه طول عمره[٢].

قلت: لقد كان ذلك في زمن أبي حامد، فكيف به في أهل زماننا؟!

والله المستعان

(١) ولا أعني ترك حوارهم بالجملة، بل يحاور منهم من فطنت منه التواضع للحق والرجوع إليه، لأنه إن تُرك حوارهم بالجملة، فمن ذا الذي سوف ينصح لهم، والله المستعان.

(٢) «فن الحوار» (ص٥٩).

الدرس العاشر

الصدع بالحق

الصدع بالحق: هو قول الفصل وكتمانه، وهو عين الهزل.

ولن يتسم بالقول الفصل إلاَّ الشجعان من أهل الإيمان أمَّا الضعفاء والمهازيل من الناس فإنهم لا يقوون عليه.

ولما للصدع بالحق في موطنه الشرعي من مكاسب دينية حث الله نبيه ﷺ، كما جاء في الكتاب العزيز: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤)، وتكفل الله بحفظه وحراسته فقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٥).

وكذلك تكفل الله بحفظ ونصر من قام بهذا الدين من هذه الأمة، قال الإمام الرباني محمد بن علي الشوكاني عند قول الله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)، قال: وهكذا من سبقت له العناية من علماء هذه الأمة يعصمه الله من الناس إن قام ببيان حجج الله وإيضاح براهينه، وصرخ بين ظهراني من ضاد الله وعانده، ولم يمتثل لشرعه كطوائف المبتدعة، وقد رأينا من هذا في أنفسنا وسمعناه في غيرنا ما يزيد المؤمن إيمانًا وصلابةً في دين الله، وشدةً وشكيمةً في القيام بحجة الله، وكل ما يظنه متزلزلوا الأقدام ومضطربوا القلوب من نزول الضرر بهم وحصول المحن عليهم فهو خيالات مختلة وتوهمات باطلة، فإن كل محنة في الظاهر هي منحة في الحقيقة، لأنها لا تأتي إلا بخير في الأولى والأخرى[1]، بل إنه: ما قام أحد بالحق لله وفي الله ما قام له أحد ولو كادت له السماوات[2].

---

(١) «فتح القدير» (٢/ ٦٩).

(٢) من شريط «السماء والسماوة»، علي القرني.

وكذلك أمر الله نبيه ﷺ أن يُعلن مفاصلة الكفار، فقال له: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ﴾ (الكافرون: ١-٢)، وقال أيضًا: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩).

وها هو نبينا ﷺ أراد تثبيت هذه الحقيقة الدنيوية (الصدع بالحق)، حيث قال: «إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»[(١)]، وقال أيضًا: «لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول في حق إذا رآه أو شهده أو سمعه»، قال أبو سعيد: وددت أني لم أسمعه[(١)]، وفي رواية عند ابن ماجه: فبكى أبو سعيد وقال: قد والله رأينا أشياء فزدنا.

أي أخي - يا رعاك الله - اعلم أنه من توفيق الله للعبد أن يكون صادعًا بالحق مظهرًا له، لا يخاف أحدًا سوا الله، ولن يقوى على قول الحق إلا مخلص قوي أمين، يقول الإمام الذهبي - رحمه الله - كما في (سير أعلام النبلاء): الصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوى بلا إخلاص يُخذل، فمن قام بهما كاملاً فهو صديق، ومن ضعف فلا أقل من التعلم، والإنكار بالقلب، وليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله. اهـ.

أيها الغالي: لقد وجدتُ أن الصدع بالحق المصحوب بالكلمة الطيبة والابتسامة، والأسلوب الممزوج بالحكمة والموعظة الحسنة هو من أغلى وأحلى وأنقى وأعلى ما يجب أن يتحلى به؛ وذلك لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، كما قال بذلك أبو علي الدقاق - رحمه الله -[(٣)]:

يا لساني كان الكلام حرام ... فانطقي الآن صار السكوت حرام

---

(١) الحديث سبق تخريجه.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) نقلاً من «سير أعلام النبلاء».

ويقول آخر:

يا عيني ماذا تبصرين تكلمي قولي ولو في الحق طعم العلقم

فالحق لابد له أن ينتشر ويظهر ولا يضره ما يعلق به من براثن لا تريد إلاَّ أن تعوق مسيرته[١].

اجهر برأيك لا يأخذك ترويع لا ينفع السوط إلا وهو مسموع

ولقد تأملت بعض الصادقين الساكتين عن إعلان الحق وإظهاره، فوجدت أن صمتهم كان لعلل عليلة وحجج واهية أوهى من بيت عنكبوت من تلك العلل والحجج:

١ ـ **الخوف من انشقاق الصف المسلم:** فمن أجل رأب الصدع، وبقاء الصف نتغاضى عن الأخطاء، ونسكت عن الحق عملاً بالقاعدة، نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه[٢] هكذا لبس عليهم الشيطان فظنوا أنهم يحسنون صنعًا.

والحق في ذلك أن الخوف من انشقاق الصف المسلم لا يصح أن يكون عائقًا على إطلاقة والاستدلال بتلك القاعدة استدلالاً باطلاً، لأن تلك العبارة لا يصح أن تكون قاعدة عندئذٍ، لا يصح الاستناد إليها، وأحسن منها أن نقول: نتعاون فيما اتفقنا عليه من البر والتقوى وينصح بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، فإن المؤمنين نصحة، ومعرفة مواطن الخلل وتصحيحها سلامة في بناء وصلابة في القاعدة، وإقامة للمجتمع على تقوى الله ورضوانه، والتستر عليها والسكوت عنها بحجة عدم التشويش في الوسط الإسلامي، وعدم خلخلة الصف المؤمن أوهام الإنسان وتلبيس الشيطان.

---

(١) «الجماعات الإسلامية» (٤٥٨).

(٢) رسالة أخوية (ص٦٠)، وهذه قاعدة من قواعد الإخوان المسلمين.

٢ ـ الخوف من الهجر من قبل جماعته، وأبناء حزبه: والأصل في المسلم الصدوق في إسلامه وإيمانه أن: يبقى صلبًا في الحق ولا يضره جفاء إخوانه له؛ فإن هجروه فإن الحق أنيسه، فلا تستوحش أخي من قلة السالكين، ولا تغتر بكثرة الهالكين[١]. «والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك»[٢]، كما قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٣ ـ الخوف من التجريح والثلب سواءً باللسان أو بالمحابر والأقلام: فقد يُقال عمن نطق بالحق والعدل: أنه قد فارق جماعة المسلمين وشق عصاهم، وقد يُقال عنه: مرتدٌ ومنتحلٌ لنفسه نحلة جديدة، وقد يُنال من جسده وعرضه وماله، فإليه أقول ما أوصانا به رسول الله ﷺ: «اصبر على ما أصابك، واستعن بالله ولا تعجز».

قال الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ عند تعليقه في (السلسلة الصحيحة) على حديث: «لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول في حق إذا رآه أو شهده أو سمعه»[٣]، قال: وفي الحديث النهي المؤكد عن كتمان الحق، خوفًا من الناس أو طمعًا في المعاش فكل من كتم مخافة إيذائهم إياه بنوع من أنواع الإيذاء كالضرب والشتم وقطع الرزق أو مخافة عدم احترامهم إياه ونحو ذلك داخل في النهي ومخالف للنبي ﷺ. اهـ.

قال الإمام ابن الوزير ـ رحمه الله ـ: ولو أن العلماء رضي الله عنهم تركوا الذب عن الحق، خوفًا من كلام الخلق، لكانوا قد أضاعوا كثيرًا وخافوا حقيرًا. اهـ.

ولك أخي الغالي في رسول الله ﷺ أسوة حسنة يوم أعلن الحق على رؤوس الأشهاد قيل عنه ساحر وشاعر وكذاب وكاهن، وفوق ذلك نال الأعداء

---

(١) «السراج الوهاج» (ص٣٩) بتصرف. (٢)، (٣) سبق تخريجهما.

من جسده وعرضه، فما أثناه كل ذلك عن قول الحق والصدع به، وليُعلم أن طريق الحق طريق شاق وصعب، ولذا قيل: طريق المعالي قليل الإيناس، وقيل: إنما الأخطار أثمان المعالي، وهناك علل أخرى أكتفي بما ذكرت.

فيا أخ الإسلام والإيمان: أدِّ زكاة العلم صادعًا بالحق، أمَّارًا بالمعروف، نهاءً عن المنكر، موازنًا بين المصالح، والمضار ناشرًا للعلم، وحب النفع وبذل الجاه، والشفاعة الحسنة للمسلمين في نوائب الحق والمعروف[1].

فكم للصدع بالحق من مكاسب جلية جليلة لا تخفى على عقلاء الناس، وأرجو أن يكون أخي القارئ هو ذلك العاقل النبيه الذي أبحث عنه دومًا وأبدًا صاحب الفطنة الذي لا تزعجه الملمات، لأنه صاحب عقيدة ولا تخطفه الشبهات، لأنه صاحب علم ولا يقع في الشهوات، لأنه صاحب إيمان قد عزم على تتبع الحق ولزومه وإعلانه مع الالتزام بكامل ضوابطه وآدابه من ذلك:

١ ـ أن يكون له في كل قول دليل أو إمام قد سبقه بذلك القول، فإن ذلك هو الحجة والبرهان.

٢ ـ أن لا يكون على سبيل الطعن والتجريح والفضح والتشهير، فصاحب الحق يستر وينصح لا يهتك ولا يفضح.

٣ ـ أن لا يكون على سبيل الانتقام وحب الظهور.

(١) «حلية طالب العلم» (ص٧٢).

الدرس الحادي عشر

الجهاد في سبيل الله

الجهاد: لغةً: مصدر جاهد يجاهد، ومعناه بذل الجهد في مكافحة العدو[١].

وقيل: هو بذل الجهد في مقاتلة العدو[٢].

ولقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على الجهاد، لاسيما في سورتيْ الأنفال والتوبة، من ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيُّها النَبيُ جاهد الْكُفار والْمُنافقين واغْلُظْ عليهمْ ومأْواهُمْ جهنَمُ وبئس الْمَصيرُ﴾ (التحريم:٩)، وقوله تعالى: ﴿كُتب عليْكُمُ الْقتالُ وهُو كُرْهٌ لَكُمْ وعسى أن تكْرهُوا شيْئًا وهُو خيْرٌ لَكُمْ وعسى أن تُحبُوا شيْئًا وهُو شرٌ لَكُمْ واللَّهُ يعْلمُ وأنتُمْ لا تعْلمُونَ﴾ (البقرة:٢١٦)، وقال أيضًا: ﴿قاتلُوا الَّذين لا يُؤْمنُونَ باللَّه ولا باليْوْمِ الآخر ولا يُحرمُونَ ما حرَّمَ اللَّهُ ورسُولُهُ ولا يدينُونَ دين الْحقَ من الَّذين أُوتُوا الْكتاب حتَّى يُعْطُوا الْجزْيةَ عن يدٍ وهُمْ صاغرُونَ﴾ (التوبة:٢٩)، وقال: ﴿وقاتلُوا الْمُشْركين كافَّةً كما يُقاتلُونكُمْ كافَّةً واعْلَمُوا أنَّ اللَّه معَ الْمُتَّقينَ﴾ (التوبة:٣٦)، وأما من السنة فقد ورد كثير من الأحاديث التي تشحذ العزائم وتقوى الهمم نحو جهاد في سبيل الله، وابتغاء مرضاته، فعن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: «**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويُحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه**»[٣].

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٣٦٩)، ونحوه في «سبل السلام» (٤/ ٣٣).

(٢) «البحر الرائق» (ص١٤٨)، ونحوه في «سبل السلام» (٤/ ٣٣).

(٣) رواه الترمذي، وصححه ابن ماجه وأحمد بن حنبل، وقال الألباني: إسناده صحيح.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجرٍ وغنيمة»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[٣].

مشروعية الجهاد:

لم يشرع الجهاد إلاَّ في السنة الثانية من الهجرة هذا على قول من حددوا زمن الإذن بالقتال، والقول الآخر ما جاء في (الرحيق المختوم): «والصحيح الذي لا مندوحة عنه أن هذا الإذن إنما نزل بالمدينة بعد الهجرة لا بمكة، ولكن لا يمكن لنا القطع بتحديد ميعاد النزول»[٤].

* ***ولقد رُتِّبتْ مشروعية الجهاد تدريجيًا وذلك كالتالي:***

ـ فأول ما نزل من القرآن في شأن الجهاد قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج:٣٩)، ثم فُرِضَ على المؤمنين قتال من يقاتلهم

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٣) رواه أبو داود وأحمد والطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٤٢٣).

(٤) «الرحيق المختوم» (ص١٧٧).

دون من لم يقاتلهم، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠)، ثم فُرِضَ عليهم قتال المشركين كافة، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ (التوبة: ٣٦).

حكم الجهاد:

الأصل في الجهاد أنه فرض كفاية إن قام به البعض من المسلمين سقط عن الآخرين، لقول الله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (التوبة: ١٢٢)، ولكنه يصير فرضًا عينيًا في الأحوال التالية:

١ ـ إذا داهم العدو بلاد المسلمين لزم جميع أهل البلد دفع عدوهم وجهاده، ولا يستثنى من ذلك غير من لم يستطع الجهاد.

٢ ـ إذا استنفر إمام المسلمين الرعية لقتال العدو، فيصير الجهاد حينئذٍ فرض عين، لقول النبي ﷺ: «وإذا استنفرتم فانفروا»[1].

٣ ـ إذا كان المقاتل في وسط المعركة فيلزم لزومًا عينيًا البقاء والثبات على قتاله إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة، ويحرم الفرار لقول الله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ (الأنفال: ١٦).

أقسام الجهاد

١ ـ جهاد النفس: ومعناه: حمل النفس على القيام بالواجبات وترك المحرمات، لأن النفس تحتاج إلى معاناة وإلى مجاهدة والنفس كلما ضيقت عليها، وسعت على القلب وكلما وسعت عليها ضيَّقت على القلب وهي إن لم تُشغل بالطاعة شُغلت بالمعصية.

---

(١) متفق عليه.

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وهذا الجهاد ينبني عليه جهاد المنافقين وجهاد المحاربين.

٢ ـ **جهاد المنافقين:** وهو من أصعب ما يكون، لأن المنافقين عدو خفي بل هو العدو حقيقة وانظر إلى قول الله: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ (المنافقون: ٤)، وجهاد المنافق يكون بالعلم والمناظرة وتحذيره من أن يبقى على النفاق.

٣ ـ **جهاد الكافر المحارب:** وهذا القسم هو صلب موضوعنا وبيت القصيد من كلامنا، فإنه من شك بأن قتال الكفار من أي بلد كان واجب على المسلمين حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون. اهـ.

يقول الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ (البقرة: ٢١٦)، ﴿كُتِبَ﴾!، من الذي كَتبه؟ الله، وكُتب بمعنى: فُرض، ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ تكرهونه لكنه خير، ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦)، لو كرهتموه فهو خير ما هو الخير؟!، ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٩-١٧٠-١٧١)، هذا خير عظيم[1].

ولكنه يجب قبل قتالهم أن نعد ما استطعنا من قوة لقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٣٧١) باختصار وتصرف.

* **والقوة نوعان: قوة معنوية وقوة حسية:**

القوة المعنوية: الإيمان بالله والعمل الصالح قبل أن نبدأ بجهاد غيرنا، قال تعالى: ﴿ يا أيُّها الذين آمنُوا هلْ أدُلُّكُمْ على تجارةٍ تُنجيكُم مِّنْ عذابٍ أليمٍ (١٠) تُؤْمنُون باللَّه ورسُوله وتُجاهدُون في سبيل اللَّه بأموالكُمْ وأنفُسكُمْ ذلكُمْ خيرٌ لَّكُمْ إن كنتم تعلمون ﴾ (الصف: ٩-١٠)، فالإيمان قبل الجهاد، ثم بعد ذلك الإعداد بالقوة المادية[1]. اهـ.

وكم نحن اليوم بحاجة إلى إحياء شعيرة الجهاد في سبيل الله وتوحيد الصف المسلم ونبذ التفرق الذي أصابنا بالفشل والضعف ولا يمكن للأمة أن تتوحد إلا إذا عملت على الإنطواء تحت كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وتجردت لله في معرفة الحق والأخذ به عند ذلك، ستفكر الأمة في معرفة عدوها وجهاده، وإن لم فإنها ستظل أمة ممتهنة متهارجة وهذا هو واقع أمتنا اليوم.

يقول الإمام محمد العثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: فمن المعلوم أن المسلمين اليوم مع الأسف الشديد يقاتل بعضهم بعضًا وليس عندهم تفكير في أن يقاتلوا لإعلاء كلمة الله هذا ظني فيهم والواقع شاهد بذلك بأن المسلمين لا يريدون هذا على الإطلاق، ولا سيما الولاة منهم ويدلك على هذا ما يُفعل بإخواننا المسلمين في البوسية والهرسك، فالقتال اليوم في البوسنة والهرسك والشيشان وغيرها كلها لإذلال المسلمين.

والأمة الإسلامية اليوم مع الأسف مفترقة مشتتة لم يقم أحد منهم يثأر لدين الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فكيف يمكن أن يقاتلوا الكفار في الوقت الحاضر؟، لا يمكن من أجل الذي ضربه الله على قلوب ولاة الأمور في البلاد الإسلامية، وعدم

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٣٧٥).

الالتفات للجهاد في سبيل الله فنحن اليوم في ذل ليس بعده ذل وسبب ذلك هو أن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ابتلى كثيراً من المسلمين بالإعراض التام عن دينهم لا يريدون إلا عرض الدنيا والترف[١]. اهـ.

وليُعلم أنه لا يمكن لهذه الأمة أن يُعد لها فجر تاريخها المشرق إلا بالتضحية والجهاد الخالص في سبيل الله، عندئذٍ سيعود لها مجدها وعزها ونصرها وتمكينها وكم للجهاد من ثمار وآثار وفضائل حسان.

* ***فمن فضائل الجهاد في سبيل الله:***

١ ـ أن الإيمان والجهاد تجارة ثوابها النجاة من النار والمغفرة ودخول جنان تجري من تحتها الأنهار، والتمتع بالمساكن الطيبة في جنات عدن والنصر والفتح، فأي فوز أعظم من هذا الفوز؟!، وأي بشارة بعدها؟!.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف: ١٠-١٣).

٢ ـ ومن فضائل الجهاد: أن الله تعالى يعذب عدونا بأيدينا ويشف صدورنا، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ (التوبة: ١٤-١٥).

٣ ـ موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها لقوله ﷺ: «**وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها**»[٢]؛ نعم خير من الدنيا وما فيها،

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٣٧٢)، مختصراً. (٢) متفق عليه من حديث سهل بن سعد.

ولا تظن أن هذه الدنيا التي تعيشها في هذه الأيام فحسب بل خير من الدنيا التي قد مَرَّت والتي تحن بصددها وما تبقى منها.

٤ - ومن فضائل الجهاد: أن صاحبه يأمن من فتنة القبر، قال ﷺ: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»[١].

٥ - ومن فضائل الجهاد: أن الله فضل أهله على القاعدين، لقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٩٥-٩٦).

٦ - الشهادة في سبيل الله: فالمجاهد إن قتل مجاهدًا في سبيل الله فهو شهيد، وكم للشهادة من فضائل من تلك الفضائل:

(أ) أن الشهيد يأتي يوم القيامة وجرحه يدمي اللون لون الدم والريح، ريح المسك يشهده الأولون والآخرون في ذلك اليوم المشهود.

(ب) للمجاهد مثل أجر الصائم القائم قال ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم»[٢].

(جـ) أعدَّ الله للمجاهد في سبيله مائة درجة في الجنة ما بين الدرجة والأخرى كما بين السماء والأرض، قال ﷺ: «إن في الجنة لمائة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله»[٣].

---

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٣) متفق عليه.

(د) الشهادة تكفر كل شيء من الأعمال إلاَّ الدَّيْن فقد سأل رجل رسول الله ﷺ بقوله: أرأيت إن قاتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟، فقال رسول الله ﷺ: «**نعم، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدَّيْن فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**»[١]، وقال ﷺ: «**يُغفر للشهيد كل شيء إلا الدَّيْن**»[٢]، وفي لفظ: «**يغفر الله للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن**»[٣].

(هـ) الشهداء أحياء عند الله يرزقون كما في الآية المذكورة سابقًا.

(و) يُسهل الله عليه القتل كما أنه يُسهل عليه خروج الروح، قال ﷺ: «**ما يجد الشهيد من قيس القتل إلاَّ كما يجد أحدكم من مسّ القرصة**»[٤].

(ز) ومن فضائل الشهادة الست الحضال التي يحض بها الشهيد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده في الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويُحلى حلية الإيمان، ويُزوج من الحور العين، ويُشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه**»[٥].

(ط) وقد ذكر ابن القيم الجوزية ـ رحمه الله ـ كلامًا قيمًا فيما أعده الله لمن باع نفسه وماله لله حيث قال: وأخبر سبحانه أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وأن هذا الوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن، ثم أكدَّ ذلك بإعلامهم أنه لا أحد أوفى بعهده منه، فالله هو المشترى والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته هناك،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) رواه أحمد ومسلم «صحيح الجامع» (٨١١٩).

(٤) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجة وابن حبان وحسنه الألباني في «الجامع» برقم ـ(٥٨١٣)، **والقرصة**: النملة أو الذرة.

(٥)رواه الترمذي وصححه ابن ماجه وابن حنبل، وقال الألباني: إسناده صحيح.

والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه في الملائكة والبشر، وأن سلعةً هذا شأنها لقد هيأت لأمر عظيم وخطب جسيم.

قد هيؤك لأمر لو فطنت له ... فارياً بنفسك أن ترعى مع الهمل

مهر الجنة بذل النفس والمال لمالكهم الذي اشتراهما من المؤمنين فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة؟!، بالله ما هَزُلت فليستامها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد فلم يرض ربها لها بثمن دون بذل النفوس فتأخر البطالون، وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن تكون نفسه الثمن فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٥٤)[1].

صور من الجهاد:

أما صور الجهاد فكثيرة جدًا ولا يسع المقام لذكرها وأحيل أخي القارئ إلى كتب السِّيَرْ الصحيحة المعتمدة لينظر القارئ الكريم إلى تلك الأمة التي رُفع على أكتافها وبدمائها عَلَمُ الجهاد من الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

فاسألو التاريخ إذ فيه العبر ... ضلَّ قوم ليسوا يدرون الخير

وقال آخر:

فاسألوا التاريخ عنا كيف كنا ... نحن أسسنا بناءً أحمديًا

أسأل الله بمنه وكرمه أن يرفَعَ علم الجهاد، ويقمع راية الزيغ والكفر والفساد وأن يتوفانا ونحن في سبيله على أرض الجهاد، اللهم آمين.

آمين آمين لا أرضى بواحدة ... حتى يُضاف إليها ألف آمينا

---

(١) «البحر الرائق» (ص ١٥٠)، نقلاً من زاد «المعاد».